منهج
التدبر والاستنباط

إعداد:
د.حاكم بن قاسم الحاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله الذي حفظ كتابه من التحريف والتبديل، وأغنى المسلمين بشريعته عن الاحتياج إلى ما في التوراة والإنجيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وأصحابه الكرام الذين كانوا أهل عناية وأمانة، وحفظٍ ودراية. **أمَّا بعدُ** :

فلقد حظي القرآن الكريم على مر العصور باهتمام كبيرٍ لا يدانيه اهتمام، وعناية فائقة لا تعادلها عناية، فقد دأب علماء الأمة على ذلك، فألفوا فيه المؤلفات.

ولا شك أن أعظم العلوم والمعارف هي تلك المتعلقة بالقرآن العظيم، فهماً واستنباطاً وتدبراً، فعلوم القرآن عي رأس العلوم وأساسها، وغيرها تابع لها، خادم لمقاصدها، ولا شك أن من أعظم علومه، فهم معاني كلامه، وتدبر ما فيه من أنواع الهداية التي أنزلها الله لعباده.

وسيكون حديثنا في مادة (**منهج التدبر والاستنباط من القرآن الكريم**) تعريفهما، ونشأتهما، وأهميتهما، ونماذج من تطبيقاتهما.

هيكل البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهرس، وفق الترتيب الآتي:

التمهيد وفيه تعريفات الكتاب والعلاقة بين الاستنباط والتفسير والتأويل والتدبر، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

المطلب الثاني: العلاقة بين التدبر والاستنباط والتفسير والتأويل.

المطلب الثالث: الكتب التي ألفت في التدبر والاستنباط.

الفصل الأول: وفيه منهج التدبر من القرآن الكريم وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مادة التدبر، وأهميته، وأساليبه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مادة التدبر الواردة في القرآن

المطلب الثاني: أهمية التدبر.

المطلب الثالث: أساليب القرآن في الدعوة إلى التدبر.

المبحث الثاني: أنواع التدبر، وعلاماته، وأصوله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع التدبر.

المطلب الثاني: علامات التدبر.

المطلب الثالث: أصول تدبر القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أركان التدبر، وأسبابه، وآدابه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أركان تدبر القرآن.

المطلب الثاني: أسباب تدبر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: آداب تعين على تدبر القرآن والتأثر به.

المبحث الرابع: مفاتح التدبر، وموانعه، وثمراته، وأسباب الفهم وسبل العلاج للتدبر الخاطئ وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفاتح تدبر القرآن.

المطلب الثاني: موانع التدبر.

المطلب الثالث: ثمرات التدبر وآثاره.

المطلب الرابع: أسباب الفهم الخاطئ لتدبر القرآن.

المطلب الخامس: سبل الوقاية والعلاج للفهم الخاطئ.

المبحث الخامس: نموذج تطبيقي في تدبر سورة الكوثر.

الفصل الثاني: وفيه منهج الاستنباط من القرآن، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الاستنباط، وأهمية علم الاستنباط، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الاستنباط.

المطلب الثاني: أهمية علم الاستنباط.

المطلب الثالث: موضوع الاستنباط ومجاله.

المطلب الرابع: أصناف المفسرين من جهة التفسير والاستنباط.

المطلب الخامس: الاستنباط في كتب التفسير.

المبحث الثاني: شروط الاستنباط، وأركانه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شروط الاستنباط من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أركان الاستنباط.

المبحث الثالث: أقسام الاستنباط، وأسباب الانحراف فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقسام الاستنباط.

المطلب الثاني: أسباب الانحراف في الاستنباط من القرآن الكريم.

المبحث الرابع: نماذج للاستنباطات الصحيحة، والخاطئة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج للاستنباطات الصحيحة.

المطلب الثاني: نماذج للاستنباطات الخاطئة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس: وتشتمل على:

١) فهرس المصادر والمراجع.

٢) فهرس الموضوعات.

التمهيد:

وفيه تعريفات الكتاب والعلاقة بين الاستنباط والتفسير والتأويل والتدبر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

المطلب الثاني: العلاقة بين التدبر والاستنباط والتفسير والتأويل.

المطلب الثالث: الكتب التي ألفت في التدبر والاستنباط.

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

• أولاً: تعريف المنهج:

المنهج في اللغة: هو الطريق الواضح الجلي، وأصله (نَهَجَ)، ومردُّه إلى الاستقامة والوضوح، ومنه قوله تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]، أي سبيلا واضحاً[١].

وفي الاصطلاح: كل أمرٍ بيِّنٍ واضح يُلتزم[٢].

❖ ثانياً: تعريف التدبر :

التدبُّر في اللغة: التَّدَبُّر: مصدر (تَدَبَّر)، وأصل هذه المادة: (د ب ر) يدل على آخر الشيء وخَلْفِه [٣]، ومنه دبر الشيء؛ أي آخره؛ كأدبار الصلوات.

قال الجرجانيرحمه الله **في تعريف التدبر**: " عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب "[٤].

فالتدبر: النظر في أدبار الشيء، والتفكير في عاقبته.

وقد استعمل في كل تأمل يقع من الإنسان في حقيقة الشيء، أو أجزائه، أو سوابقه، أو لواحقه، أو أعقابه[٥].

التدبر في الاصطلاح: قال أبو حيانرحمه الله: «هو التفكر في الآيات، والتَّأَمُّل الذي يُفْضِي بصاحبه

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة(٥٢٨/٢)، جامع البيان للطبري (٤٩٣/٨).

(٢) ينظر: الكليات (ص ٩١٣).

(٣) مقاييس اللغة (مادة: دبر) (٢/ ٣٢٤).

(٤) التعريفات (ص ١٧).

(٥) ينظر: روح المعاني (٥/ ٩٢)، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر لمساعد الطيار (ص: ١٨٥).

إلى النظر في عواقب الأشياء»[1].

وعليه فالمقصود بتدبر القرآن: هو النظر والتأمل في الآيات للوصول لمراد الله عز وجل، وما يلزم ذلك من الإيمان والعلم والعمل.

وقيل: هو تأمل القرآن بقصد الاتعاظ، والاعتبار، والاستبصار.

❖ ثالثاً: تعريف الاستنباط:

الاستنباط في اللغة: هو الاستخراج، ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ أي: يستخرجونه، وتدور مادة «نبط» على أصل واحد، وهو استخراج شيء والانتهاء إليه[2].

والألف والسين والتاء في استنبط تدل على تطلب الشيء لأجل حصوله، وكأن فيها معنى التكلف في إعمال العقل الذي يحتاجه المستنبط حال الاستنباط[3].

يقال (نبط العلم) أي أظهره ونشره في الناس، وأنبط الشيء أي أظهره، و(استنبطت منه علما أو خبراً أو مالاً) إذا استخرجته منه[4]

واستنبط الفقيهُ: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه[5].

مما سبق يتبين أن معنى الاستنباط في اللغة هو: الاستخراج أو الإظهار بعد الخفاء.

❖ الاستنباط في الاصطلاح :

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٣٧٩).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥٣٧/٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٣).

(٣) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: ١٥٩).

(٤) تاج العروس للزبيدي (١٢٩/٢٠) (١٣٤/٢٠)، ينظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي (ص ٤٢).

(٥)العباب الزاخر واللباب الفاخر، للصغاني، تحقيق: محمدحسين آل ياسين (حرف الطاء: ٢٠٧).

- **قال الطبري** رحمه الله: «وكل مستخرج شيئا كان مُستترا عن العيون، أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط، يقال: استنبطت الركية إذا استخرجت ماءها»[1].
- **قال الماوردي** رحمه الله: والاستنباط: مختصٌّ باستخراج المعاني من النصوص.[2]
- **قال الزمخشري** رحمه الله: ما يستخرجه الرجلُ، بفضلِ ذهنِه، من المعاني والتدابيرِ، فيما يَعْضُلُ ويُهِمّ.[3]
- **قال ابن القيم** رحمه الله: استخراج الأمر، الذي من شأنه أن يخفى على غيرِ مستنبطه.[4]
- **قال الجرجاني** رحمه الله: استخراج المعاني من النصوص، بِفَرْطِ الذهن، وقوة القريحة.[5]
- **قال الدكتور مساعد الطيار**: رَبْطَ كلام له معنى، بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارة، أو دلالة مفهوم، أو غيرها.[6]
- **قال الدكتور فهد الوهبي التعريف المختار للاستنباط هو**: (استخراج ما خفي من النص بطريق صحيح.[7]

ويماثل الاستنباط في استعمال العلماء: الاستدلال، والاستعلام، والاستخراج، والانتزاع والاعتبار[8].

- **قال الجصاص** رحمه الله: والاستنباط في الشرع نظير الاستدلال والاستعلام[1].

---

(١)تفسير الطبري، تحقيق: شاكر (٨/ ٥٧١).

(٢) تهذيب اللغة (١٣ / ٢٥٠).

(٣)الكشاف (٢/ ١١٧).

(٤)إعلام الموقعين (١ / ١٧٢)

(٥)التعريفات (٢٢)

(٦)مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: (١٦٠- ١٦١).

(٧)منهج الاستنباط من القرآن الكريم : (ص ٥٧)

(٨) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٢/٢)، (المحرر الوجيز (٤٠٩/٣)، علم الاستنباط نايف الزهراني (ص ١٢)

تعريف علم الاستنباط من القرآن: استخراج ما خفي من القرآن بطريق صحيح [٢].

المطلب الثاني: العلاقة بين التدبر والاستنباط والتفسير والتأويل:

أولاً: تعريفات موجزة للتفسير والتأويل:

التفسير في اللغةً: التَّفسيرُ: تفعيلٌ من الفَسْرِ، وأصلُ مادَّتِه اللُّغوية تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه، ولذا قيلَ: الفَسْرُ: كَشفُ المغطَّى[٣]، فبهذا يكون معناه: الكشف والبيان وسواء كان ذلك في المعاني أم المحسوسات والأعيان، فيقال فسر الكلام، أي أبان معناه وأظهره.

التفسير في الاصطلاح: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه "[٤].

وعرَّفه الكافيجي رحمه الله بقوله: «كشف معاني القرآن وبيان المراد»[٥].

التأويل في اللغةً: مأخوذ من الأَوْل، وهو الرّجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولاً ومآلاً بمعنى رجع[٦].

التأويل في الاصطلاح له عند السَّلف معنيان:

أحدها: تفسير الكلام وبيان معناه: وهو ما يعنيه كثير من المفسرين كابن جرير في قوله: القول في تأويل قوله تعالى، واختلف أهل التأويل، مرادهم في ذلك أهل التفسير، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفَين.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (١٨٣/٣).

(٢)منهج الاستنباط من القرآن الكريم : (ص ٥٧)

(٣)تهذيب اللغة، للأزهري (٤٠٦/١٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٣/١).

(٥) التيسير في قواعد التفسير: (ص ١٢٤).

(٦)ينظر: مفردات ألفاظِ القرآنِ (ص: ٩٩)، والقاموس المحيط (٣/ ٣٣١) واللسان» مادة «أول» (١/ ١٧١) وما بعدها.

ثانيهما: هو نفْس المراد بالكلام، فإنْ كان الكلام طلبًا كان تأويله نفسَ الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله نفسَ الشيء المخبَر به، وبيْن هذا المعنى والذي قبله فرْقٌ ظاهر.[1]

أما التأويل عند المتأخرين فهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لقرينةٍ تدلُّ عليه[2].

رابعاً: العلاقة بين الاستنباط والتفسير والتأويل والتدبر:

١) التفسير والتأويل والتدبر مرحلة تسبق الاستنباط، ففهم المعاني وإدامة النظر فيها ومعرفة مراد المتكلم، كلها تسبق الاستنباط.

٢) التفسير والتدبر يشترك فيه العلماء والعوام، وأما الاستنباط فإنه خاص بأولي العلم.

٣) الاستنباط فيه نوع اجتهاد بخلاف التفسير فإنه متوقف على نقل المعاني أو الترجيح بينها.

٤) مرجع التفسير هو اللغة وكلام السلف، ومرجع الاستنباط هو التدبر والتأمل في الآيات.

٥) الاستنباط يكون في الغالب لبيان المعاني الخفية بخلاف التفسير والتدبر فإنهما للمعاني الظاهرة.

٦) التفسير المصطلح عليه بين العلماء خاص بالقران الكريم، بينما الاستنباط لا يختص بذلك، بل هو عام في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

٧) التفسير مختص بمعرفة المعاني، والاستنباط مختص باستخراج ما وراء المعاني من الفوائد والأحكام الخفية.

٨) من استنبط فقد فسر، وعليه فكل مستنبط مفسر وليس العكس.

٩) الاستنباط مستمر لا ينقطع، وأما التفسير للألفاظ فقد استقر وعلم.

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٥)، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه للعبيد (ص ١٨-١٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٢٨٨)، والتعليق على تفسير الجلالين للدكتور عبدالكريم الخضير(١/٤).

❖رابعاً: دوائر فهم القرآن:

التعامل مع القرآن يكون من خلال ثلاث دوائر أمر بها القرآن، ولا سبيل لفهمه إلا من خلالها:

الأولى: دائرة التفسير: وفيها تحديد المعنى وبيان المراد.

الثانية: دائرة الاستنباط: وفيها نظير المعنى، ومثيله في القصد والغاية.

الثالثة: دائرة التدبر: وفيها دلائل الأصول والمقاصد الكبرى التي تعرف بالقرآن: (أنه من عند الله)، وبما فيه: (لا اختلاف فيه)، وبالغاية منه: (سلامة الاعتقاد وصلاح العمل).

وأيسر هذه الدوائر منالاً:

- **التدبر**: فهو من كل أحد، وفي كل زمان.
- ثم: **التفسير**: وهو العلم بمعاني زمن التنزيل، وهو ميسور بأصوله وضوابطه لعامة العلماء.
- ثم: **الاستنباط**: وهو ما يستخرج من تلك المعاني وهو أدقها مأخذاً، ويزيد في شروطه وضوابطه على التفسير، و ليس إلا لأهله من خاصة العلماء.

ويمكن أن نقول من ناحية أخرى أن القرآن له ثلاثة أبواب:

الباب الأول: التفسير: يتعلق بمعنى الآية، وفهم الآية، وهذا خاص بالعلماء.

الباب الثاني: التدبر: يتعلق بأثر الآية على المسلم، تأمل الآية لإصلاح النفس، وهو عام لجميع الناس.

الباب الثالث: الاستنباط: يتعلق بما يستخرج من الآية، والتأمل لاستخراج الأحكام والعلوم، وهو خاص بالعلماء.

المطلب الثالث: الكتب التي ألفت في التدبر والاستنباط:

أولاً: أبرز الكتب التي ألفت في التدبر:

١) **منهج تدبر القرآن الكريم**، حكمت بشير ياسين.

٢) **تدبر القرآن الكريم**، سلمان عمر السنيدي.

٣) **تدبر القرآن الكريم**، عبداللطيف عبدالله التويجري.

٤) **أفلا يتدبرون القرآن**، ناصر سليمان العمر.

٥) **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، صلاح عبدالفتاح الخالدي.

٦) **الخلاصة في تدبر القرآن الكريم**، خالد عبدالله السبت.

٧) **مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، خالد عبدالكريم اللاحم.

٨) **معارج التفكر ومعالم التدبر**، لحبنكة الميداني كذلك وهو تفسير تدبري للقرآن.

٩) **ليدبروا آياته**، مركز التدبر للاستشارات التربوية.

١٠) **المعين على تدبر الكتاب المبين**، محمد بن أحمد مكي.

١١) **مفهوم التدبر تحرير وتأصيل**، للملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم.

ثانياً: أبرز الكتب التي ألفت في الاستنباط:

١) **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**، للدكتور فهد بن مبارك الوهبي.

٢) **الاستنباط عند المفسرين**، للدكتور محمد بن عمر بازمول.

٣) **علم الاستنباط من القرآن الكريم المفهوم والمنهج**، نايف بن سعيد الزهراني.

٤) **أسباب الانحراف في الاستنباط من القرآن الكريم**، للباحثة تغريد العجلان رسالة ماجستير.

٥) **رسائل علمية في الاستنباطات** عند المفسرين كالطبري، والبغوي، والرازي، والقصاب وغيرهم.

الفصل الأول

وفيه منهج التدبر من القرآن الكريم وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مادة التدبر، وأهميته، وأساليبه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مادة التدبر الواردة في القرآن

المطلب الثاني: أهمية التدبر.

المطلب الثالث: أساليب القرآن في الدعوة إلى التدبر.

❖ المطلب الأول: مادة التدبر الواردة في القرآن:

جاء الأمر بتدبر القرآن في أربعة مواضع من القرآن، والعجيب أن آيتين نزلت في سياق المنافقين وهما :

- قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء:٨٢].
- قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[محمد:٢٤]، ففي هذه الآية فيها توبيخٌ عظيمٌ على ترك التدبر في القرآن.

وجاءت آيتان في سياق الكفار، وهما:

- **قوله تعالى:** ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[المؤمنون :٦٨].
- **وقوله تعالى:**﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾[ص: ٢٩].

وتحتمل آية سورة «ص» أن يكون المؤمنون داخلون في الأمر بالتدبر، ويشهد له قراءة من قرأ: ﴿لتدبروا آياته﴾ بالتاء[(١)]، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وليس نزول الآية في سياق غير المؤمنين يعني أن المؤمنين لا يطلب منهم التدبر، بل هم مأمورون به، وداخلون في الخطاب من باب أولى؛ لأنهم أهل الانتفاع بتدبر القرآن. وإنما المراد هنا بيان من نزلت بشأنه الآيات، دون بيان صحة دخول المؤمنين في الخطاب، والله أعلم[(٢)].

والآيات الآمرة بالتدبر منها ما جاء على شيء مخصوص؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر المدني من العشرة، وقد نسبت إلى عاصم، ينظر: النشر في القراءات العشر (٣٦١/٢)، تفسر الطبري (١٥٣/٢٣).

(٢) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: ١٨٦).

ومنها ما جاء **مطلقا بالتدبر العام**؛ كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

❖ **الأصل أن مرحلة التدبر تأتي بعد الفهم**: إذ لا يمكن أن يطلب منك تدبر كلام لا تعقله، وهذا يعني أنه لا يوجد في القرآن ما لا يفهم معناه مطلقا، وأن التدبر يكون فيما يتعلق بالتفسير؛ أي أنه يتعلق بالمعنى المعلوم.

قال الطبريرحمه الله: " وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات . بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص:٢٩]، وقوله: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ [الزمر: ٢٧ – ٢٨]، وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه . ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيه.

لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به. فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل. كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه، لو أنشد قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم: اعتبر بما فيها من الأمثال، وادكر بما فيها من المواعظ إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم. فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق، فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر. بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: اعتبر بها إلا لمن كان بمعاني بيانه عالما، وبكلام العرب عارفا وإلا بمعنى الأمر لمن كان بذلك منه جاهلا أن يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبره بعد، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره.

فإذا كان ذلك كذلك وكان الله ـ جل ثناؤه ـ قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله = كان معلوما أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدلهم عليه آية جاهلا. وإذ لم يجز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون، صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه، الذي قد قدمنا صفته آنفا = عارفون. **وإذا** صح ذلك، فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله"[1].

❖ المعاني المقاربة للتدبر:

يقرب من معنى التدبر: التفكر، والتذكر، والنظر، والتأمل، والاعتبار، والاستبصار، وقد وردت هذه المعاني في القرآن في مواطن.

قال ابن القيم رحمه الله: «... وهذا يسمى تفكرا وتذكرا ونظرا وتأملا واعتبارا وتدبرا واستبصارا، وهذه معان متقاربة تجتمع في شيء وتتفرق في آخر.

ويسمى تفكرا؛ لأنه استعمال الفكرة في ذلك، وإحضاره عنده.

ويسمى تذكرا؛ لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ويسمى نظرا؛ لأنه التفات بالقلب إلى المنظور فيه.

ويسمى تأملا؛ لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

---

(١) جامع البيان للطبري(١/٣٦-٣٧)، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: ١٨٦).

ويسمى اعتبارا، وهو افتعال من العبور؛ لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة، وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يسمى عبرة، وهي على بناء الحالات كالجلسة والركبة والقتلة إيذانا بأن هذا العلم والمعرفة قد صار حالا لصاحبه يعبر منه إلى المقصود به، وقال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [النازعات: ٢٦]، وقال: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ [آل عمران: ١٣].

ويسمى تدبرا؛ لأنه نظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها، ومنه تدبر القول...» [1]

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/١٨٢).

❖ المطلب الثاني: أهمية التدبر:

١) **الغاية من إنزال الله القرآن على نبيه محمد ﷺ هي التدبر** ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[ص:٢٩]، وفي القراءة الأخرى ﴿لتدبروا آياته ﴾ بالتاء.

٢) **أن التدبر هو منهج النبي ﷺ**، وبخاصة في رمضان، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة»[(١)]، فكان يدارسه، والمدارسة تختلف عن التلاوة والضبط.

٣) **أن الله تعالى أنكر على من لم يتدبرْه**؛ كما في قوله – عز وجل –: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد:٢٤].

٤) **أن القرآن مستودع للعلوم والمعارف، والتدبر مفتاحه**. قال الإمام السعدي :" تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٢٦) رقم (١٩٠٢).

كلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤][(١)].

٥) **كون تدبر القرآن واجباً على كل مسلم: قال ابن كثير**: "يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه، وناهيا عن الإعراض عنه، فقال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه"[(٢)].

٦) **كون تدبر القرآن هو العاصم من شبهات الطاعنين في القرآن الكريم :**

قال ابن كثيررحمه الله: "يقول تعالى آمرا عباده بتدبر القرآن، وناهيا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛.. ثم قال: ﴿ولو كان من عند غير الله﴾ أي: لو كان مفتعلا مختلقا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ أي: اضطرابا وتضادا كثيرا. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله. كما قال تعالى مخبرا عن الراسخين في العلم حيث قالوا: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:٧] أي: محكمه ومتشابهه حق؛ فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا؛ ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين[(٣)].

٧) **أنه لا سبيل إلى تحصيل المطالب العالية والكمالات إلا بالإقبال عليه وتدبره وتَفَهُّمِه.**

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٤-٣٦٥)، ينظر: أفلا يتدبرون القرآن ل ناصر العمر (١١٥-١١٨).

٨) **أنه الطريق إلى معرفة العبد لخالقه جل جلاله معرفة صحيحة** بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الطريق إلى معرفة صراطه المستقيم الذي أمر العباد بسلوكه.

٩) **أن ذلك من النصيحة لكتاب الله تعالى.**

١٠) **أن تدبر القرآن من أَجَلّ الأعمال وأفضل التَّعَبُّدَات.**

المطلب الثالث: أساليب القرآن في الدعوة إلى التدبر[1]:

دعا القرآن إلى التدبر في مواضع كثيرة، وحثَّ عليه، وتفنن في ذلك غاية التفنن، وحَرَّكَ القلوبَ والعقولَ إلى تأمل المعاني، والاتعاظ والاستبصار بما جاء من الله تعالى من التخويف والترهيب والترغيب، وما ذكر من مصير الأمم السالفة، حين استجابوا أو كذَّبوا الرسل عليهم الصلاة والسلام.

لذلك فإن المواضعَ التي يذكر فيها القرآنُ القَصَصِ، والأمثالَ، والتي يذكر فيها الحثَّ على: التَعَقُّلِ[2]، والتَّذَكُّرِ[3]، والتَّفَكُّرِ[4]، والتقوى[5]، والإيمان[6]، والرؤية والإبصار[1]، والسماع[2]؛ فإنما يدعو فيها إلى

---

(١) ينظر: تأصيل منهج التدبر لفهد الوهبي (ص ٧-١٣).

(٢) ورد قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ في ثلاثة عشر موضعاً من القرآن الكريم.

وورد قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ في سبعة مواضع، كما ورد قوله تعالى: ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ في ثمانية مواضع.

وقد ورد غيرها من الآيات في نفس الموضوع بصيغ مختلفة.

(٣) ورد قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ في سبعة مواضع من القرآن الكريم.

كما ورد قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ في موضعين. وورد قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ في سبعة مواضع.

وورد قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ في ستة مواضع.

(٤) قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنعام].

وورد قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في موضعين، وقوله تعالى: ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في سبعة مواضع.

وورد قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ في موضعين.

(٥) ورد قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ في خمسة مواضع من القرآن الكريم.

وورد قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ في خمسة مواضع أيضاً، وورد قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ في ستة مواضع.

(٦) كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

تدبر القرآن، والتأمل فيما فيه من المواعظ والآيات، القائدِ بعد ذلك إلى التصديق والإيمان واتباع النبي ﷺ.

ولقد تنوعت الأساليب التي دعا فيها القرآن إلى التدبر، ويمكن بيان بعض تلك الأساليب فيما يأتي:

- **الأسلوب الأول: الحث المباشر على التدبر العام للقرآن:**

وقد ورد ذلك في عدد من الآيات الكريمات منها:

أ) قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

ب) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد].

ت) ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المؤمنون].

ث) ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص].

---

(١) كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة]، وورد قوله تعالى: ﴿ فَانظُرُوا۟ ﴾ في خمسة مواضع، وورد قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ في ثلاثة مواضع.

(٢) كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [السجدة]، وقوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [القصص]، وورد قوله تعالى: ﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ في ثلاثة مواضع.

فقد دعا القرآن هنا إلى التدبر دعوة مباشرة صريحة، وأبان أنَّ عِلَّةَ إنزال القرآن التدبرُ، ولا شكَّ أنها علةٌ عظيمةٌ قائدةٌ إلى كلِّ فلاحٍ وفوزٍ في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

- **الأسلوب الثاني: توجيه الخطاب لأصحاب العقول والنهى**[1]:

فقد ورد توجيه الخطاب في القرآن الكريم إلى أصحاب العقول، والألباب، والنهى.

وسرُّ ذلك: حثُّ أصحاب تلك العقول والألباب إلى استعمالها في تدبر النص القرآني، والاهتداء بما فيه، ومن تلك الآيات:

أ) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران].

ب) وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

ج) وقوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [طه].

---

(١) ورد قوله تعالى: ﴿ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ في خمسة مواضع من القرآن الكريم، وورد قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ في موضعين، وورد قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ في موضعين أيضاً، وورد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ في موضعين، وورد قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم]، وقوله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفجر]، وورد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ في موضعين.

د) وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [طه:١٢٨].

قال ابن جرير الطبريرحمه الله: "وخصَّ - تعالى ذكرُه - بأنَّ ذلك آياتٌ لأولي النُّهَى؛ لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ"(١).

وقال في تفسير الآية الثالثة: "إن فيما وصفتُ في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره"(٢).

- **الأسلوب الثالث: ضَرْبُ الأمثال بقصد التفكر والتذكر:**

فقد ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم، وحث على تأملها وتذكرها، في آيات عديدة، وفي مجالات متعددة، فضرب الله الأمثال: للإيمان، والكفر، والعلم النافع، وفضح النفاق، والحث على الإنفاق، والترغيب في الخير، والتنديد بالشر، وتصوير الطيب والخبيث، والصالح والطالح، ولإقامة الأدلة والبراهين، وبيان خيري الدنيا والآخرة(٣).

وقد قال الله تعالى في بيان الهدف من تلك الأمثال: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر].

---

(١) جامع البيان: (١٦ / ٨٦).

(٢)جامع البيان: (١٦ / ٨٦).

(٣) ينظر: أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم (ص٧).

وأبان القرآنُ مصيرَ مَنْ لم ينتفع بتلك الأمثال كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الفرقان].

قال ابْنُ جرير الطبريرحمه الله: "يقول تعالى ذكرُه: وكلَّ هذه الأمم التي أهلكناها، التي سمَّيناها أو لم نسمِّها، ﴿ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ يقول: مثَّلْنا له الأمثالَ، ونبَّهْناها على حججنا عليها، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نُهْلِكْ منهم أمةً إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة"(١).

- **الأسلوب الرابع: تعليلُ الآياتِ وختمُها بما يدعو إلى التدبر:**

فإن كثيراً من الآيات قد خُتِمَتْ بعلل تدعو إلى التدبر والتفكر، كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ۖ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

---

(١) جامع البيان: (١٧ / ٤٥٥- ٤٥٦).

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الدخان]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

ولا شكَّ أنَّ المؤمن يسعى لتحقيق تلك الغايات التي نزلتْ من أجلها الآياتُ، ولا يكون ذلك إلا بتدبر القرآن والتأمل فيه والعمل بما يتضمنه من أوامر وتوجيهات.

وقد أخبر الله تعالى أن الغافلين والكافرين والمتكبرين والمكذبين؛ مصروفون عن تدبر آياته وفهمها والانتفاع بها ـ ومنها القرآن ـ كما قال جل وعلا: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف].

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: "أنزعُ عنهم فهمَ القرآن، وأصرفُهم عن آياتي"(١).

وقال ابنُ جرير الطبري رحمه الله: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه سيصرف

(١) جامع البيان للطبري (١٣ / ١١٣).

عن آياته، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله، وغير ذلك من فرائضه، والسموات والأرض، وكل موجود من خلقه؛ فمن آياته، والقرآن أيضًا من آياته، وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقَّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون، لأنهم لو وفِّقوا لفهم بعض ذلك فهُدوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم"[1].

- **الأسلوب الخامس: ذكر القصص القرآني للتفكر والعبرة:**

قال تعالى: ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

فقد صرَّحَ القرآنُ بأن في تلك القصص عبرةً، وطريق الاعتبار بتلك القصص هو تدبر القرآن.

وقد أحسن الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله عند تفسير آية الأعراف السابقة حيث كان عمله مثالاً يُحْتذى للتدبر فقال: " وأما قوله: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ ﴾، فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: فاقصص ـ يا محمد ـ هذا القصص، الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبارَ الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رُسُلَنا من نقمتنا؛ على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات، ويتدبَّره

(١)المصدر السابق.

اليهود من بني إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحَّة نبوّتك، إذا كان نبأ ﴿ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ من خفيّ علومهم، ومكنون أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتب ودرسها منهم. وفي علمك بذلك ـ وأنت أميٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم ـ الحُجَّة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك، وحالُك الحال التي أنت بها، إلا بوحي من السماء"[1].

وبهذا يتبين أثر القصص القرآن في الهداية والإيمان واليقين عند التدبر الصحيح والتأمل بقصد الاعتبار والاستبصار.

(١) جامع البيان (١٠ / ٥٨٩).

المبحث الثاني:

وفيه أنواع التدبر، وعلاماته، وأصوله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع التدبر.

المطلب الثاني: علامات التدبر.

المطلب الثالث: أصول تدبر القرآن الكريم.

المطلب الأول: أنواع التدبر:

- **النوع الأول:** تدبره لمعرفه صدق من جاء به، وأنه حق من عند الله تعالى: وذلك أن الله تعالى نَعَى على المنافقين إعراضهم عن طاعة الرسول ﷺ، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[النساء :٨٢].
- **النوع الثاني:** أن نتدبَّره لنقف على عِظاته ونعتبر بما فيه من القصص والأخبار، ونتعقل الأمثال المضروبة، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب من أجل أن يرعَوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله تعالى.
- **النوع الثالث:** أن نتدبره لنستخرج الأحكام أياً كان نوعها، الأحكام المتعلقة بالعقائد، أو الأحكام المتعلقة بالفروع الفقهية، أو الأحكام المتعلقة بالسلوك والأحكام هنا أعم من الأحكام الفقهية، فكل ذلك إنما يُستخرج من القرآن، هذا قد يكون من وظائف العلماء.
- **النوع الرابع:** أن نتدبره لنقف على ما حواه من العلوم والأخبار والقَصص، ما ورد فيه من أوصاف هذه الدار وأوصاف دار القرار، أهوال القيامة نهاية الحياة الدنيا، أوصاف المؤمنين، أوصاف الكافرين، صفات المنافقين، إضافة إلى الأوصاف المحبوبة لله تعالى، والأوصاف التي يكرهُها.... إلى غير ذلك مما يلتحق بهذا المعنى.
- **النوع الخامس:** أن نتدبره لنقف على وجوه الفصاحة والبلاغة والإعجاز وصروف الخطاب، واستخراج اللطائف اللغوية والبلاغية التي تستنبط من مضامين النص القرآني.
- **النوع السادس:** أن نتدبره لنتعرف على ضروب المُحاجة والجدال للمخالفين، وأساليب الدعوة إلى الله عز وجل كيف دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم، كيف ندعوا الناس، كيف نتعامل

مع هؤلاء المنافقين والمخالفين والمجادلين والمعاندين، كيف تكون لهذه الدعوة طرق للتأثير وأساليب الخطاب، فهذا باب واسع يحتاج إليه الدعاة إلى الله تبارك وتعالى.

- **النوع السابع**: أن نتدبره من أجل أن نستغني به عن غيره سوى سُنّة رسول الله ﷺ فإنها شارحةٌ له.

- **النوع الثامن**: أن نتدبره لنُليِّن به القلوب، طبعاً هذا كان هو الشائع قبل هذه النهضة للتدبر، يتدبر الإنسان يرق ويبكي يرقق قلبه فالقرآن يُعالج القلوب ويصلحُها ويلينُها ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ ثم وصفه بعد ذلك ووصف أثره ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ فهذا يحصل للقلب حينما يحيل النظر في كتاب الله تبارك وتعالى متدبراً له ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ وهكذا.

- **النوع التاسع** : هو أن نتدبره من أجل العمل والامتثال له، والعمل بما فيه من الأوامر، واجتناب النواهي[1].

وبهذا نعلم أن تدبر القرآن يتنوع بحسب تنوع مطالب المتدبرين، كما يظهر أيضاً ما يقع للناس من التفاوت العظيم في باب التدبر، فمن مقلٍّ ومكثر.

(١) مفهوم التدبر تحرير وتأصيل د خالد السبت (ص١٦٥-١٧٢).

المطلب الثاني: علامات التدبر:

١) اجتماع القلب والفكر حين القراءة، ودليله التوقف تعجبًا وتعظيمًا.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾.

٢) البكاء من خشية الله.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

٣) زيادة الخشوع.:

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾.

٤) زيادة الإيمان، ودليله التكرار العفوي للآيات:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

٥) الفرح والاستبشار:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

٦) القشعريرة خوفاً من الله تعالى ثمَّ غلبة الرجاء والسكينة.

يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا

لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾.

٧) **السجود تعظيمًا لله عزَّ وجلَّ.**

يقول جلَّ جلاله: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾.

فمن وجد واحدة من هذه الصفات، أو أكثر فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكر، أما من لم يحصل أياً من هذه العلامات فهو محروم من تدبر القرآن، ولم يصل بعد إلى شيء من كنوزه وذخائره.

❖ درجات التدبر:

الدرجة الأولى: التفكر والنظر والاعتبار، قال تعالى﴿ كذلك يبينُ اللهُ لكمُ الآياتِ لعلكمْ تتفكرون ﴾.

الدرجة الثانية: التأثر وخشوع القلب، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾.

الدرجة الثالثة: الاستجابة والخضوع لله، هذا من أعظم مقاصد التدبر، وقد قال تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾.

الدرجة الرابعة: استخراج الحكم، واستنباط الأحكام.

❖المطلب الثالث: أصول تدبر القرآن الكريم[1]:

عند تأصيل منهج تدبر القرآن الكريم؛ لابد من ذكر الأصول والضوابط الشرعية التي يُرجع إليها لمعرفة المنهج الصحيح لتدبر القرآن الكريم، حيث قد وُجد اختلاط بين بعض السلوكيات المصاحبة لتلاوة القرآن الكريم، وبين تدبر القرآن الكريم، فظنَّ كلُّ من عَمِلَ عملاً متأثراً بالقرآن أنَّ ذلك نتيجة التدبر، وهو غير صحيح.

بل لابد من التمعن في هذه الأصول والضوابط، وقياس الإنسان نفسَه عليها حتى يعلم موافقته للتدبر الصحيح من عدمها. **ومن تلك الأصول ما يأتي:**

✓ **الأصل الأول: التدبر الصحيح يزيد الإيمان:**

وقد دلَّ على ذلك أدلة من كتاب الله تعالى منها:

١) **قال تعالى:** ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٢) **وقوله تعالى:** ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾ [الأنفال: ٢].

فالآية الأولى صريحة في زيادة إيمان المؤمنين بسبب ما أنزل من القرآن الكريم، وإنما يكون ذلك عند تأمل القرآن وتدبره وفهم ما فيه، مما ينتج عنه الخوف والفزع والرجاء بما عند الله، والعمل بما يتضمن من أوامر ونواهٍ.

قال مجاهدرحمه الله: ﴿ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾: فرقت، أي: فزعت وخافت[1].

---

(١) ينظر: تأصيل منهجية التدبر لفهد الوهبي (ص ١٤-٢١) بتصرف يسير.

وقال الربيع بن أنسرحمه الله: "﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾: زادتهم خشية"[٢].

وليس مجردُ السَّماع كافياً في حصول ذلك الإيمان، فإن المشركين قد سمعوا القرآن ولكن كان عملُهم الإعراضَ والكفرَ والتكذيبَ والاستهزاءَ والتوليَ وعدمَ العملِ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [التوبة].

فتزيدهم لذلك الآياتُ رِجْساً وكفراً، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة].

وأما المؤمنون فإنهم بخلاف ذلك كما **قال ابن كثير**: "وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره"[٣].

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الفرقان]: "أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين، بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم"[٤].

وقال السعديرحمه الله: "﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾: ووجه ذلك أنهم يلقون له

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ١١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ١٤) رقم (٩٥٤٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤ / ١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٧ / ٩٤).

السمع ويُحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنىً كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يُحدث في قلوبهم رغبةً في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان"[1].

والمؤمن يقيس تدبره بهذا الأصل العظيم؛ فإن أورثه إيماناً بالله، وتصديقاً برسوله ﷺ ؛ فهو على جادة السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ في تدبر القرآن، وإن كانت تلاوتُه مجردَ ألفاظٍ يرددها أو أصواتٍ يسمعها فإنه لم يصل بعد إلى المعنى الحقيقي لتدبر القرآن الكريم.

✓ **الأصل الثاني: علامة التدبر الخشية والخوف والرجاء والدمع:**

وقد دلَّ على ذلك آيات منها:

١) قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ [الزمر].

٢) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾ [المائدة].

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ ثُمَّ تَلِينُ

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (٣١٥).

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ لما يرجون ويؤمِّلون من رحمته ولطفه"[1].

وقد وصف الله الذين أوتوا العلم بالخشوع والبكاء عند استماع القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء].

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٧ / ٩٤).

✓ **الأصل الثالث: التدبر يكون بأدب وبلا تكلف:**

وهذا هو حال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والتابعين رحمهم الله، فقد كان تدبرهم للقرآن أعظمَ التدبرِ وأعلاه، مُورِّثاً العملَ والإيمانَ والتأثرَ بلا تكلف، وقد نبه العلماء إلى حال بعض الناس الذين فهموا التدبر على غير وجهه، فكان تدبرهم صراخاً وعويلاً وتكلفاً، ومن تلك الأقوال التي تحذر من ذلك:

- **قال عروة بن الزبير** رحمه الله: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قال فقلتُ لها: إن ناسًا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرَّ أحدُهم مغشيًا عليه، فقالتْ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[1].

- **وقال عكرمة** رحمه الله: سُئلتْ أسماءُ بنت أبي بكر: هل كان أحد من السَّلَف يُغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون[2].

- **وقال قتادة** رحمه الله **بعد أن تلا قوله تعالى:** ﴿نَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]: "هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان"[3].

---

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٨ / ٤٤٥) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وابن عساكر. ينظر: زاد المسير: (٥ / ٢٦٣)، والمحرر الوجيز: (٥ / ٤٧٤).

(2) زاد المسير لابن الجوزي (٥ / ٢٦٣).

(3) رواه عبد الرزاق في تفسيره: (٦ / ٨٢)، ينظر: تفسير البغوي: (٧ / ١١٦)، وفهم القرآن : (٢٧٩)، وتفسير القرآن العظيم: (٧ / ٩٥).

- **وقال ابن كثير** رحمه الله: "كان الصحابة، رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخُون ولا يتكلّفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقِدح المعَلّى في الدنيا والآخرة"[1].

هذا هو المنهجُ المعروفُ عن مجمل السلف الصالح رحمهم الله في تدبر القرآن الكريم، وقد وُجِدَتْ استثناءاتٌ من بعضهم نبَّه عليها العلماء.

✓ **الأصل الرابع: التدبر يورث العمل:**

تدبر القرآن لا يقفُ بالمؤمن عند مجرد السماع والتأثر، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ورسوله ﷺ، وهذا أصلٌ عظيم من أصول التدبر، وإلا فقد ذمَّ الله اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لا يعملون به، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [البقرة].

وقال الشيخ السعدي: " كذلك لما كان العلم الشرعي يقتضي العمل به، والانقياد لكتب الله ورسله، قال تعالى عن أهل الكتاب المنحرفين: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة]" [2].

ولا شكَّ أن العمل بالقرآن الكريم نتيجة الإيمان به وتدبر معانيه.

---

(1) تفسير القرآن العظيم: (٧ / ٩٥).

(2) القواعد الحسان: (١١٨).

المبحث الثالث:

أركان التدبر، وأسبابه، وآدابه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أركان تدبر القرآن.

المطلب الثاني: أسباب تدبر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: آداب تعين على تدبر القرآن والتأثر به.

❖ المطلب الأول: أركان تدبر القرآن:

إن تدبر القرآن لا يتم إلا إذا اجتمعت ثلاثة أمور، وهي التي تحقق ماهية التدبر، ويمكن أن نطلق عليها أركان تدبر القرآن، وهي:

الركن الأول: المتدبِّر:

وهو القائم بفعل التدبر، ويدخل فيه المسلم وغير المسلم إذ كل منهما مأمور بتدبر القرآن ليتذكر بما فيه من هدايات، فالكافر مخاطب بتدبر القرآن لإرشاد نفسه إلى خالقها لتحقيق العبودية لله تعالى، وعند تأمل السياقات القرآنية الوارد فيها الأمر بتدبر القرآن نجد أنها جاءت في سياق توبيخ المشركين والمنافقين كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨١-٨٢]، وكقوله تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون:٦٣-٦٨]، ومثلها قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[ص:٢٧-٢٩]، ومثلها قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٠-٢٤] ففي جميع هذه السياقات القرآنية التي ورد فيها الأمر بتدبر القرآن ورد في

سياق خطاب الكفار أو المنافقين، الذين لم يؤمنوا بالقرآن ولم يهتدوا بهديه لأنهم لم يتدبروه وقد أنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن في عموم الآيات الواردة في هذا الشأن.

أما المسلمون فهم أهل التدبر، وتحتمل آية سورة "ص " توجه الخطاب لهم، وما هدايتهم إلى الإسلام إلا ثمرة من ثمار تدبر القرآن، وما التزموه من توجيهات القرآن وما اعتبروا به من أمثاله، وما اتعظوا به من مواعظه فهو من ثمار تدبرهم للقرآن، وهم مطالبون بالاستمرار والثبات على تَطَلُّب هدايات القرآن، وبهذا يعلم أن الأمر بتدبر القرآن متجه للناس كافة مؤمنهم وكافرهم، علمائهم وعوامهم، فجميع الناس مأمورون بتدبر القرآن طلباً لهداياته كما جاء الخطاب في الآيات عاماً.

الركن الثاني: المُتَدبَّر:

وهو القرآن الكريم، ففي جميع المواضع التي ورد فيها الأمر بالتدبر اتجه الأمر بالتدبر إلى القرآن الكريم أو آياته كقوله:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾[النساء:٨٢، محمد:٢٤]، وقوله: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾[ص:٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾[المؤمنون:٦٨] أي: القرآن [1]، ولم يرد في كتاب الله تعالى الأمر بتدبر شيء غير القرآن، بينما ورد الأمر بالتفكر والتذكر والاستبصار والعقل ونحوها من المعاني للقرآن وغيره:

فدُعي إلى التفكر في آياته المتلوة في مثل قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة:٢١٩].

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١٢)، وتفسير ابن كثير (٤٧٧/٥).

ودُعي للتفكر في آياته المنظورة في مثل قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الرعد:٣].

ودُعي إلى التذكر بآياته المتلوة في مثل قوله تعالى:﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النور:١].

ودُعي إلى التذكر بآياته المنظورة في الكون في مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٧].

ومثل ذلك السماع لآياته المتلوة في مثل قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[فصلت: ٤.٣].

والسماع لآياته المنظورة في قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[النحل:٦٥].

ومثل ذلك العقل لآياته المتلوة في مثل قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:١٠].

والعقل لآياته المنظورة في مثل قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[المؤمنون:٨٠] ونظائر هذه الآيات كثير في كتاب الله تعالى.

الركن الثالث: أداة التدبُّر وهي لغة العرب التي نزل بها القرآن:

فقد جرت ألفاظ القرآن وسياقاته على سَنَنِ العرب في كلامها، وقد أخبر الله تعالى عن إنزال القرآن بلسان العرب في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، ومنها قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل:١٠٣]، ومنها قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥]، فأخبر الله تعالى في هذه الآيات ونظائرها أنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فكون القرآن عربياً من أعظم دواعي وأسباب عقله وفهمه وفقهه، ومن دواعي وأسباب إحداث العظة والعبرة، والبشارة والنذارة، وتحقيق التقوى لتاليه ومُتدبره، إذا عربة لسانه محققة لذلك كله كما جاء في الآيات الآنفة الذكر، فمن رام تدبره فلا بد له من هذا اللسان، إذ لا يتصور من الأعاجم الذين لا يفهمون معانيَ الألفاظ العربية ولا دلالاتها أن يكونوا متدبرين للقرآن إذ ذلك محال، فمعرفة العربية ودلالات ألفاظها وسياقات جملها ركن رئيس من أركان تدبر القرآن، وهي لابد لها من التعلم، وإلا لأصبح التدبر نوعاً من الخرس والهذيان الذي ينزه عنه القرآن، ولا يشترط العلم بكافة تفاصيل علوم العربية، وإنما المقصود أن يكون المتدبر قادراً على فهم مدلول ألفاظ اللسان العربي وجمله فيما يشترك فيه جمهورهم، وكلما اتسع علم المتدبر بالعربية وفنونها كان حظه من فهم القرآن وتدبره أوسع، وذلك لجريان القرآن على لسان العرب وسننها في الكلام.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله (ت:٣١٠هـ): ومحالٌ أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلامَ العرب ولا يفهمونه، لو أنشِد قصيدة شعرٍ من أشعار بعض العرب ذاتَ أمثالٍ ومواعظ وحِكم: "اعتبر بما فيها من الأمثال، وادّكر بما فيها من المواعظ"- إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلامِ العرب

ومعرفتِه، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم، فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق، فمحالٌ أمرُها بما دلَّت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعِبَر. بل سواء أمرُها بذلك وأمرُ بعض البهائم به، إلا بعدَ العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحِكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: "اعتبرْ بها" إلا لمن كان بمعاني بيانه عالمًا، وبكلام العرب عارفًا؛ وإلا بمعنى الأمر –لمن كان بذلك منهُ جاهلا– أنْ يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبَّره بعدُ، ويتعظ بحِكمَه وصُنوف عِبَرِه اهـ[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت:٧٢٨هـ): لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربيّة التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك. اهـ[2].

(١) جامع البيان(١/٨٢-٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/١١٦).

المطلب الثاني: أسباب تدبر القرآن الكريم[1]:

من الأسباب التي ينبغي أن يسعى المسلم إلى تحقيقها، حتى يتسنى له تحقيق التدبر بإذن الله:

١) معرفة الله تعالى وتعظيمه:

فإن معرفة الله سبحانه وتعظيمه هي الباب العظيم لتدبر كلامه جل وعلا، فإن مَنْ امتلأ قلبُه معرفة بالله وتعظيماً له؛ عَظَّمَ كلامه، وتمعَّنَ فيه، وأصغى إليه متأملاً متدبراً.

وقد أخبر سبحانه أن المشركين ـ وهم الذي لا يعرفونه حَقَّ المعرفة ـ لا ينتفعون بهذا الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر:٢٢].

قال ابن جرير الطبريرحمه الله: " وما أنت يا محمد بمسمع من في القبور كتابَ الله، فتهديَهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا تَقْدِرُ أن يَنْفَعَ بمواعظ كتاب الله وبينات حججه، مَنْ كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله"[2].

وبين سبحانه أن سبب تكذيب المشركين؛ عدمُ معرفتهم لله حق المعرفة كما قال تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:٦٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه"[3].

وقال السعديرحمه الله: "فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه،

---

(١) ينظر: تأصيل منهجية التدبر لفهد الوهبي (ص ٢٢-٢٧)، بتصرف يسير.

(٢) جامع البيان للطبري (١٩ / ٣٥٩).

(٣) تفسير البغوي (٣ / ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٢ / ٥٠٠)، ينظر: الوجيز للواحدي: (١ / ٢٢٦).

كانت عبادته أكمل"[١].

ولا شكَّ أن مطالعة التفاسير لا تكفي وحدها في تدبر القرآن ما لم ينضم إلى ذلك الإحساس والإيمان العميقان بأن هذا الكلامَ كلامُ الله تعالى[٢].

قال سالم بن ميمون الخوَّاصرحمه الله: "قلت لنفسي: يا نفسُ، اقرئي القرآن كأنك سمعتيه من الله حين تكلم به، فجاءت الحلاوةُ!"[٣].

ولا شكَّ أن تعظيم القرآن من تعظيم الله تعالى، فكما أنه سبحانه عظيم في ذاته، فإنه عظيم في صفاته ومنها كلامه القرآن، وقد سماه سبحانه برهاناً، ونوراً، وهدىً، وفرقاناً، وشفاءً لما في الصدور، فعظمه عند المؤمنين؛ ليُعَظِّموا قدره ويفهموه، لينالوا شفاء قلوبهم[٤].

قال الحارث المحاسبيرحمه الله **(ت٢٤٣هـ)**: "فإذا عَظُمَ في صدْرِك تعظيمُ المتكلِّم به، لم يكن عندك شيءٌ أرفعُ، ولا أشرفُ، ولا أنفعُ، ولا ألذُّ، ولا أحلى، من استماعِ كلام الله عزَّ وجلَّ، وفهمِ معاني قوله، تعظيماً وحبّاً له وإجلالاً، إذا كان تعالى قائله، فحبُّ القولِ على قَدْرِ حُبِّ قائله"[٥].

وقد أحسن الإمام الغزاليرحمه الله **في تصوير أثر ذلك التعظيم حيث يقول:** "ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله. فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٨١٣).

(٢) تدبر القرآن الكريم : (٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء : (٨ / ١٨٠).

(٤) ينظر: فهم القرآن : (٢٨٢).

(٥) فهم القرآن : (٣٠٢) وله كلام جميل في هذا الموضع.

عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وهذا غاية العظمى والتعالي. فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام"[1].

٢) التمهل والتأني عند القراءة:

قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٢] ، **قال ابن كثير**: "أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره"[2].

والتمهل في قراءة القرآن أدعى للفهم والتدبر، وهذه صفة قراءة النبي ﷺ، والمأثور عن السلف.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة[3].

وجاء عن أبي وائل أنه قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة. فقال: هذًّا كهذِّ الشعر. لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن. فذكر عشرين سورة من المفَصّل سورتين في ركعة[4].

٣) فهم القرآن:

فهم القرآن هو أساس التدبر الصحيح، وذلك بفهم المراد من كلام الله تعالى، وفهم القرآن شامل لفهم معنى الآيات ـ بحيث يفهم القارئُ معاني الكلمات، ويقرأ تفسيرها ـ ولفهم المقصود من إيراد الآيات: وبهذا يفهم القارئُ مقاصد القرآن.

---

(١) إحياء علوم الدين: (١ / ٢٩١).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٨ / ٢٥٠).

(٣) رواه البغوي في تفسيره: (٨ / ٢٥١)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (١ / ٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣ / ٢٣٤) رقم (٧٣٣).

قال ابْنُ جرير الطبري رحمه الله: "وفي حَثِّ الله عز وجلّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات... ما يدلّ على أنَّ عليهم معرفةَ تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه. لأنه محالٌ أن يُقال لمن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه: "اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ولا معرفةَ من القِيل والبيان والكلام"- إلا على معنى الأمر بأن يفهمَه ويفقّهَه، ثم يتدبَّره ويعتبرَ به. فأما قبلَ ذلك، فمستحيلٌ أمرُه بتدبره وهو بمعناه جاهل. كما محالٌ أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلامَ العرب ولا يفهمونه"(١).

وينبغي للقارئ أن يبتعد عن موانع الفهم كالتكلف في القراءة والانشغال بها عن الفهم، واتباع الهوى فإنه من أعظم موانع تدبر القرآن الكريم.

٤) تحسين الصوت عند القراءة:

وللصوت الحسن أثرٌ كبيرٌ في تدبر كلام الله تعالى، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على تزيين الصوت عند القرآن فقال ﷺ: ((زينوا القرآن بأصواتكم))(٢).

وقال ﷺ: ((ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن))(٣).

قال ابن كثير: "قد فهم من هذا أن السلف، رضي الله عنهم، إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به، وتحزينه، كما قاله الأئمة، رحمهم الله"(٤).

---

(١) جامع البيان: (١ / ٧٦ . ٧٧).

(٢) رواه أبو داود: (٤ / ٢٦٧) رقم (١٢٥٦)، والنسائي: (٤ / ١٣١) رقم ١٠٠٥)، وابن ماجة: (٤ / ٢٤٠) رقم (١٣٣٢)، ينظر: السلسة الصحيحة : (٢ / ٢٧٠) رقم (٧٧١).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٣ / ٥٥) رقم (٦٩٧٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم: (١ / ٦٢).

وقال أيضاً: "والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به"[١].

وقال النووي: "أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ؛ مستفيضة عند الخاصة والعامة "[٢].

والمطلوب من تحسين الصوت الوصول للخشوع والتأثر، قال السندي: "المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن أن تنتج قراءته خشية الله فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسن الصوت بالقرآن المطلوب شرعاً فيعد من أحسن الناس صوتاً"[٣].

٥) فهم لوازم النص:

وهذا من أعظم أسباب تدبر القرآن الكريم، فإن القرآن كثيراً ما يذكر في القصص مواطن العبرة، ويترك للفؤاد والعقل مطلق التأمل والتدبر في ما لم يذكر، وقد يختم الآية بعلة لم تعلق بشيء، ليتأمل العقل، كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر:٢].

قال الشوكاني: "ولم يقل عن كذا، بل أطلقه؛ لأن الإطلاق أبلغ في الذمّ؛ لأنه يذهب الوهم فيه كلّ مذهب، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام، ولأن حذف المتعلق مشعر بالتعميم، كما تقرّر في علم البيان"[٤].

وهذا السبب مؤثر جداً في التدبر، خاصة في القصص القرآني، والأمثال القرآنية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (١ / ٦٣).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: (١٠٩).

(٣) مشكاة المصابيح: (٧ / ٥٨٧).

(٤) فتح القدير: (٨ / ٥٢).

المطلب الثالث: آداب تعين على تدبر القرآن والتأثر به:

هذه الآداب منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب بالنص، ومنها ما هو مرغب فيه عند بعض العلماء وليس فيه نص:

١) **أن يخلص لله في قراءته:** بأن يقصد بها رضى الله وثوابه، ويستحضر عظمة منزل القرآن في القلب ،فكلما عظُم الله في قلبك وخافَه قلبُك وأحبهُ؛ كلما عظم القرآن لديك، وأن لا يطلب بالقرآن شرف المنزلة عند أبناء الدنيا.

٢) **التوبة والابتعاد عن المعاصي عموماً:** فهي تذهب بنور الإيمان في القلب والوجه وتوهن القلب وتمرضه وتضعفه، فالقلب المريض أبعد الناس عن التأثر بالقرآن، وعلى وجه الخصوص ينبغي على العبد أن يبتعد عن معاصي: **أدوات التأثر بالقرآن وهي:** (القلب والسمع واللسان والبصر)، فإن استخدام هذه الأدوات في الحرام يُعرِّضها لعدم الانتفاع بها في الحق.

ومن أخطر المعاصي وأعظمها صدا عن التأثر بالقرآن وتدبره: سماع الغناء والموسيقى وآلات الطرب واللهو التي تصد القلوب عن القرآن وهذه من أعظم مكائد عدو الله إبليس التي كاد بها كثير من الناس فأبعدهم عن القرآن وتفهمه والتأثر به.

٣) **أن يحضر القلب ويطرد حديث النفس أثناء التلاوة** ويصون يديه عن العبث وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة.

٤) **التدبر ومحاولة استيعاب المعاني:** لأنها أوامر رب العالمين التي يجب أن ينشط العبد إلى تنفيذها بعد فهمها وتدبرها.

٥) **أن يتفاعل قلبه مع كل آية بما يليق بها:** فيتأمل في معاني أسماء الله وصفاته حسب فهم

السلف، ويتأسى بأحوال الأنبياء والصالحين ويعتبر بأحوال المكذبين.. وهكذا.

٦) **أن يستشعر القارئ بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصياً.**

٧) **التأثر**: فيتجاوب مع كل آية يتلوها فعند الوعيد يتضاءل خيفة، وعند الوعد يستبشر فرحا، وعند ذكر الله وصفاته وأسماءه يتطأطأ خضوعا، وعند ذكر الكفار وقلة أدبهم ودعاويهم يخفض صوته، وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، ويشتاق للجنة عند وصفها، ويرتعد من النار عند ذكرها.

٨) **أن يتبرأ من حوله وقوته**: إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويتحاشى النظر إلى نفسه بعين الرضا والتزكية.

٩) **تحاشي موانع الفهم مثل**: أن يصرف همه كله إلى تجويد الحروف وغير ذلك.

١٠) **أن ينظر فيما هو أدعى لتدبره ك**: القراءة عن ظهر قلب أو من المصحف، فإن تساويا فالقراءة من المصحف تفضل.

١١) **أن يختار الأصلح لقلبه** من الجهر أو الإسرار، والترتيل أو الترسل في القراءة.

١٢) **تكرار الآية أو الآيات** أو السور القصيرة.

١٣) **أن يكون لديه قدرٌ من الفهم** لكلام الله المقروء أو المسموع[1].

([1]) مقالات في التدبر والتأثر بالقرآن.

المبحث الرابع:

مفاتح التدبر، وموانعه، وثمراته، وأسباب الفهم، وسبل العلاج للتدبر الخاطئ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفاتح تدبر القرآن.

المطلب الثاني: موانع التدبر.

المطلب الثالث: ثمرات التدبر وآثاره.

المطلب الرابع: أسباب الفهم الخاطئ لتدبر القرآن.

المطلب الخامس: سبل الوقاية والعلاج للفهم الخاطئ.

المطلب الأول: مفاتح تدبر القرآن.

مفاتح تدبر القرآن الكريم عشرة، مجموعة في:" لإصلاحٍ ترتجِ".

المفتاح الأول: (ل) لب القرآن وهو القلب.

إن القلب آلة الفهم والعقل، وهو بيد الله وحده – سبحانه وتعالى – قال تعالى: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها.. ﴾ الآية، فتذَّكر وأنت تحاول فهم القرآن أن القلوب بيد الله تعالى وأن الله يحول بين المرء وقلبه، فليست العبرة بالطريقة والكيفية بل الفتح من الله وحده، وما يحصل لك من التدبر فهو نعمة من الله تستوجب الشكر.

✓ **المفتاح الثاني: (أ) أهداف قراءةِ القرآن.**

معظم الناس لا يستحضِر هدفاً واضحاً لقراءة القرآن.. لذلك فهو لا يستشعر أهميته، فترى مثلاً حافظاً للقرآن غير عامل ولا متخلق به.

✓ **المفتاح الثالث: (ص) أن تكون القراءة في صلاة.**

إن هذا المفتاح من أهم المفاتيح لتدبر القرآن وأعظمها شأناً وقد ورد عدد من النصوص تؤكد أهميته، قال تعالى: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك... ﴾ الآية.

✓ **المفتاح الرابع: (ل) أن تكون القراءة في ليل:**

إن الليل وخاصة وقت السَّحَر من أفضل الأوقات للتذكر، فالذاكرة تكون في أعلى مستوى بسبب الهدوء والصفاء، وبسبب بركة الوقت حيث النزول الإلهي.

ومما يدل على أن القراءة في ليل أحد مفاتيح التدبر قوله تعالى: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك.. الآية ﴾.

✓ **المفتاح الخامس: [1] التكرار الأسبوعي للقرآن أو بعضه.**

أهمية ذلك: كلما تقاربت أوقات القراءة وكلما كثر التكرار كان أقوى في رسوخ معاني القرآن الكريم، ومن أجل ذلك كان السلف يواظبون على قراءة القرآن ويحرصون أكثر على كُثر تلاوته وتكرارِها.

كيفية تطبيق هذا المفتاح: بتطبيق قاعدة (أدومه وإن قل).. وبالتدرج في القراءة والتحزيب.

✓ **المفتاح السادس: (ح) أن تكون القراءة حفظاً:**

حفظ الآيات يساعد على استحضارها، ويعين الحافظ على تنزيلها على المواقف التي تمر به في حياته اليومية، كما يعينه على كثرة قراءة القرآن في الصلاة وفي كل زمان ومكان.

✓ **المفتاح السابع: (ت) تكرار الآيات:**

إن الهدفَ من التكرارِ هو التوقفُ لاستحضارِ المعاني، وكلما كثر التكرار كلما زادت المعاني التي تفهم من النص، والتكرار أيضاً قد يحصل لا إرادياً تعظيماً أو إعجاباً بما قرأ، وهذا مشاهد في واقع الناس.

✓ **المفتاح الثامن: (ر) ربط الألفاظ بالمعاني:**

الحفظ أو الذكر، بحيث يتم الاقتران القوي بين اللفظ والمعنى، فتحفظ المعاني، ثم يتم الاقتران بين العلم والعمل، فترِبطُ المعاني التي حفظت بالواقع والتطبيق، فيسهل تنزيل الآيات على المواقف والأحداث.

✓ **المفتاح التاسع: (ت) الترتيل:**

يعني الترسل والتمهل في القراءة، وعدم العجلة، إذ المقصود هو الفهم وليس الكم، وهذه مشكلة الكثيرين، وهم بهذا الاستعجال يفوتون على أنفسهم خيراً كثيراً.

ومن ذلك مراعاة المقاطع والمبادئ وتمام المعنى، بحيث يكون القارئ متفكراً فيما يقرأ.

✓ **المفتاح العاشر: (ج) الجهر بالقراءة:**

ليَقوى التركيز ويكون التوصيل بجهتين بدلاً من واحدة، أي الصورة والصوت[1].

المطلب الثاني: موانع التدبر[2]:

هنالك موانع قد تمنع من التدبر، أو تشغل المرء عنه، فينبغي التنبه لها ومن أهمها :

- **المانع الأول: أمراض القلوب:**

إن من أعظم ما يمنع القارئ من الانتفاع بمواعظ القرآن وحِكَمه وأحكامه أن يكون قلبه مصاباً ببعض الأدواء كالريا، والحسد، والغلّ، والحقد، والعُجب، والكِبر... ونحوها فهي تحجب أنوار القرآن عنه، وتمنعه من التلذذ بالقرآن والتدبر لآياته، قال تعالى :﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)﴾ [الأعراف: ١٤٦].

- **المانع الثاني: الإعراض عن تلاوة القرآن:**

فالتلاوة مفتاح التدبر ومقدمته، وهذا الإعراض قد يكون بسبب انشغال المرء بدنياه عن آخرته، وقد يكون بسبب انشغاله بشيء من أمور الآخرة كطلب العلم والدعوة إلى الله وغير ذلك، ومهما كانت الأسباب فلا شك أن من أعرض عن تلاوة القرآن الكريم قد غبن نفسه وحرمها من خير كثير.

يوكد لنا هذه المعاني ابن القيم معلقا على قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السمع وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، ومقسماً النَّاس ثلاثة أصناف قائلاً: والناس ثلاثة:

رجل قلبه مَيّت، فذلك الَّذى لا قلب له: فهذا ليست هذه الآية تذكرة فى حقِّه.

---

(١) ينظر: مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة د. خالد بن عبد الكريم اللاحم (ص ١٢-١٣)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: أفلا يتدبرون القرآن لناصر العمر (ص١٥٧-١٦٤)، مقرر تدبر القرآن د. محمد عواجي (ص ٣١٥- ٣٢٠).

ورجل حَيّ مستَعِدّ، لكنَّه غير مستمِع للآيات المتلوّة، التى تُجزئه عن الآيات المشهودة: إمّا لعدم ورودها، أَو لوصولها إليه، ولكن قلبه مشغول عنها بغيره. فهو غائب القلب، ليس حاضرا. فهذا أَيضاً لا يحصل له الذكرى، مع استعداده، ووجود قلبه.

والثالث رجل حَيّ القلب، مستعدّ، تليت عليه الآيات، فأَصْغَى بسمعه، وأَلقى السّمع، وأَحضر قلبه، ولم يَشغله بغيره، فهِمَ ما يسمعه، فهو شاهد القلب، مُلْقٍ للسمع. فهذا القسم هو الَّذى ينتفع بالآيات المتلوّة والمشهودة[1].

- **المانع الثالث: الانشغال بالتلاوة أو الحفظ عن التدبر:**

بحيث يكون كل هم الإنسان أن يستكثر من التلاوة أو الحفظ، دون أن يُلقي بالاً لتدبر ما يقرأ، وهو الأمر الملاحظ في جُلِّ حلقات التلاوة وتحفيظ القرآن، فالإقبال الكبير على التلاوة والحفظ لا يُقابله ذلك الاهتمام بالتدبر أو معرفة التفسير، وعلى هذا فيجب تنبيه التالين بأهمية التدبر وحكمه.

- **المانع الرابع: اعتقاد أن المقصود الأكبر هو إتقان التجويد، وضبط المحفوظ، وكثرة القراءة**، وهذا مطلوب في جانب القرآن، لكن لا ينسَ التدبر ومعرفة التفسير، فهي كذلك لها أهمية ويؤجر الإنسان عليها، لتعلقها بكلام الله.

- **المانع الخامس: الادعاء أن فهم القرآن وتدبره، لا يقدر عليه كلُّ أحد**، وإنما هو للمتخصصين فقط، ولا شك أن هذا من تلبيس من الشيطان، إذ فيه حق وباطل. أما الباطل: فهو أن هذا ليس في كل القرآن، فإن فيه ما هو واضح جلي لكل أحد، ولو على سبيل الإجمال، كما روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: **التفسير على أربعة أوجه:**

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٤١).

١) وجهٌ تعرفه العرب من كلامها.

٢) تفسيرٌ لا يُعذر أحد بجهالته.

٣) تفسيرٌ يعلمه العلماء.

٤) تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقسم التدبر يدخل في التفسيرٌ الذي لا يُعذر أحد بجهالته، فكثير من الآيات يُفهم ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية، ودقائق القواعد الأصولية، فهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وما حواه، والعامة يحضرون الخطب في الجمع والأعياد ويذوقون الوعظ ويفهمونه، ويسمعون أحاديث الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب.

وهكذا شأن كثير من الآيات فـ " إن فهم الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والعلم بالله واليوم الآخر لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية ".

وأما الحق: في هذه العقبة فهو أن من الآيات ما يخفى معناه على كثير من الناس، ولا يعرفه إلا أهل العلم، لكن الصواب لا يكون بترك التدبر ومحاولة الفهم.

- **المانع السادس: الغفلة عن سماع القرآن:** قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ..﴾[الأنبياء: ١-٣]، ولو تأملنا الآية لوجدنا أن أعظم مانع من تدبر القرآن هو الغفلة، فالقلب الغافل بسبب اللهو والانشغال بالدنيا لا يتدبر، وصاحب هذا القلب يستمع القرآن بأذنه ولا يصل إلى قلبه.

المانع السابع: الذنوب والمعاصي: فالمعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهي من أكبر أسباب الطبع على القلب، قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤] قال

الحسن: ومجاهد هو الذنب على الذنب، حتى تحيط الذنوب بالقلب، وتغشاه فيموت القلب[1].

وصاحب القلب المريض بالمعاصي أبعد الناس عن تدبر القرآن لأنه حُجب عن طريق العلم وهي التقوى، قال تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢].

فالتدبر في كتاب الله وتفهمه عِلم من الله عز وجل، ولا يُنال العلم بمعصية الله ؛ لأن حقيقة العلم نور يقذفه الله في القلب، والذنوب والمعاصي سبب الحرمان من هذا العلم.

قال الزركشي رحمه الله **في البرهان:** " واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان[2].

- **المانع الثامن: التقصير في تحصيل العلوم التي تفيد في التدبر من تفسير وغريب الكلمات القرآنية.**

ومن ذلك يتجه البعض إلى حفظ القرآن ثم لا يتجه بعده إلى تحصيل العلوم من تفسيره وتدبره والوقوف على معانيه، بل ينصرف إلى العلوم قليلة النفع أو عديمة بالنسبة لفهم القرآن أو تدبره.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أيّهما أفضل طلب القرآن أو العلم ؟ فأجاب: أمّا العلم الّذي يجب على الإنسان عينا كعلم ما أمر اللّه به، و ما نهى اللّه عنه، فهو مقدّم على حفظ ما لا يجب من القرآن، فإنّ طلب العلم الأوّل واجب، و طلب الثّاني مستحبّ، والواجب مقدّم على المستحبّ. و أمّا طلب حفظ القرآن: فهو مقدّم على كثير ممّا تسمّيه النّاس علما: وهو إمّا باطل، أو قليل النّفع، و

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٨).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٠).

هو أيضا مقدّم في التّعلّم في حقّ من يريد أن يتعلّم علم الدّين من الأصول و الفروع، فإنّ المشروع في حقّ مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنّه أصل علوم الدّين.

والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين والله سبحانه أعلم[1].

فينبغي على المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة أن يتجهوا نحو كتاب ربهم أولاً فيحفظوه ويفهموه ويتدبروه ويطبقوه، فهو أصل كل العلوم، ومفتاح لغيره من الفهوم.

- **المانع التاسع: ضعف اللغة العربية وشيوع العامية بين أفراد المجتمع:**

من أهم الصوارف عن التدبر اليوم: شيوع العامية وغلبتها في التخاطب دون الفصحى لغة القرآن، مما نتج عنه غرابة كثير من الفاظ القرآن، ومن ثم صعوبة الوقوف على معانيه وتدبرها تلقائياً، بخلاف الجيل الأول الذي لم يحتج إلى شيء من ذلك، ولم تكثر لديه الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى التفسير والشرح.

- **المانع العاشر: التلهي بوسائل التقنية والإعلام عن القرآن وتدبره:**

من تمام إنعام الله تعالى ما أفاء به علينا من تقدم علمي، وتقنية عصرية مذهلة، حتى غدا سكان العالم جميعاً كأنهم يعيشون في بيت واحد، والخلل في إساءة استخدام هذه النعم والتلهي بها عن الفرائض كالصلاة ونحوها، فضلا عن قراءة القرآن وتدبره، وصارت المطالعة في الصفحات الالكترونية أكثر مما يُطالع كتاب الله.

- **المانع الحادي عشر: الخلط بين التدبر والتفسير:**

مما يجعل البعض يتورع في الكلام عن القرآن خوفاً من الخوض في تفسير الآيات، وما علم أن التدبر بابه أوسع من التفسير.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٤-٥٥).

- **المانع الثاني عشر**: حصر الآيات المتلوة بمن نزلت فيهم، كأن يُعرض عن تدبر الآيات الواردة في وعيد الكفار، أو عذاب المنافقين.

❖المطلب الثالث: ثمرات التدبر وآثاره:

تكمن أهمية التدبر في الفوائد والثمار التي يقطفها العبد نتيجة تأمله وتدبره لآيات الله وتنوع تلك الثمرات: من عقدية، وعملية، وعقلية مهارية، وسلوكية تربوية، ومن أهمها:

أولاً: زيادة الإيمان وتجديده:

وصف الله تعالى قوماً من شأنهم أنهم إذا تُليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيماناً، وأثرت في قلوبهم، وأثمرت الخير العميم فيهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾[الأنفال: ٢]، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزداد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب.

وذكر الله الفرق بين المؤمنين والمنافقين في تأثير الآيات بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)﴾[التوبة :١٢٤].

ازداد المؤمنون إيمانًا بسبب فهمها، واعتقاد ما فيها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، ثم مع ذلك مستبشرون، يبشر بعضهم بعضًا بهذه المنة العظيمة، من إنزال الآيات وفهمها، والعمل بها، مما يدل على أن صدورهم منشرحة، وقلوبَهم مطمئنة، فيبادرون إلى العمل مع فرح واستبشار.

أما المنافقون، ومن في قلوبهم مرض؛ فبسبب إعراضهم عن الفهم والتدبر يسأل بعضهم بعضًا أيكم زادته هذه إيمانًا؟! فلا يرون في هذه الآية زيادة إيمان، بل ربما زادتهم شكًا إلى شكهم، ومرضًا إلى مرضهم، بسبب إعراضهم عن فهمها وتدبر معانيها.

ثانياً: حصول اليقين في القلب: كما قال تعالى:﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، فمن قرأ القرآن بتدبر وتأمل حصل له اليقين التام؛ لأن القرآن كالماء العذب، والقلب كالشجرة التي لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بهذا الماء، فالقلب كلما تفكر في معاني كلام الله حصل له الري والشبع، والنمو والاستقرار، والثبات والعلو، ولَمَّا علم الله حاجة القلب إلى مثل ذلك كرر هذه المعاني الشريفة في كتابه، ونوع في بيانها، وضرب لها الأمثال، وصرف فيها من أنواع القول ما يحصل به للقلوب المتدبرة حياة لا تموت معه أبدًا.

ثالثاً: الاستجابة لأمر الله تعالى بذلك:

حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)﴾[القمر:١٧]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾[محمد: ٢٤].

ويخشى أن تكون حال من يقرأ ويحفظ دون تدبر، كحال من سبقنا من الأمم التي عاب الله عليها مثل ذلك، كما في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[البقرة:٧٨]. **قال ابن عاشور**رحمه الله: " الأماني القراءة، أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظوها ويدرسونها لا يفقهون منها معنى كما هو عادة الأمم الضالة إذ تقتصر من الكتب على السرد دون فهم" [1]

رابعاً: معرفة الله، ومعرفة الحلال والحرام:

وهذا من أعظم بركات التدبر، أن يقف المسلم من خلال تدبره على عظة ربه سبحانه وتعالى، وهيمنته وقدرته، حيث إن المتدبر لن يُرزق نعمة التدبر إلا بتحريك القلب واستشعاره هذه المعاني قبل كل عملية تدبر.

خامساً: حصول العلم الصحيح، ودفع الشبه عن القلب: قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً

(١) التحرير والتنوير (١/٥٧٥).

لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) ﴾،[فصلت :٤٤]، أي هذا القرآن يهدي المؤمنين إلى العلم الصحيح، الذي يثمر لهم العلم النافع، ويدفع عنهم أمراض القلوب والأبدان، فلا يكون في قلوبهم شك ولا ريب؛ لأنهم فهموا مراد الله، وعرفوا مقصودة؛ فاندفعت عنهم الأخلاق السيئة، والأعمال القبيحة.

فتدبر القرآن من ثمرته حصول اليقين، وزوال الشبهات والشهوات التي ترد على الإنسان فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في المعاصي والظلمات.

سادساً: التدبر يشحذ الهمم ويشحن النفوس نحو الخير، ويبعدها عن الشر:

من قرأ سيرة الرسول ﷺ، والسلف –رحمهم الله– يجد أنهم كانوا يكررون الآية ويتفكرون فيها، وتكمن ثمرة هذا كله في تهييج النفس على العمل وتنشيط القلب على السير وتوثيق إرادة النفس على عزائم الأعمال، فهذا هو التدبر الحق، وهذا هو السر في تكرار الآيات والتفكر فيها والنظر إليها والعبرة منها.

يقول أبو حامد الغزالي: " كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره وموردة ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته[1].

(١)إحياء علوم الدين (٤/٤٢٣).

سابعاً: الإعراض عن الدنيا، والتعلق بالآخرة:

فمتدبر القرآن يشتاق إلى الله، ويتوق إلى لقائه، والفوز بنعيمه ورضوانه فهو زاهد في الدنيا لأن متاعها قليل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾[التوبة :٣٨]، ومتاع الأخرى خير وأبقى . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)﴾[طه: ١٣١].

ثامناً: معرفة حقيقة الدنيا: وأنها ظل زائل، ما جمعت إلا لتُفرّق، وما أضحكت إلا لتُبكي، وما أعطت إلا لتَسلُب، كثيرها قليل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾[يونس:٢٤].

تاسعاً: الاعتصام والاجتماع في مقابل الفرقة والتشرذم:

من قرأ القرآن وتدبره وجد فيه النصح والإرشاد لمصالح الأمة، ومن ذلك الارشاد بالوحدة وترك الفرقة لكي لا نكون لقمة صائغة للأعداء، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾[آل عمران: ١٠٣].

عاشراً: الشعور بالأمن من المخاوف والعذاب والشقاء: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾[الأنعام:٨٢].

الحادي عشر: حصول الرهبة والخوف، ثم الرجاء والطمأنينة: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾، فحين نسمع آيات الوعيد والتهديد، يحصل للقلوب قشعريرة وخوف، تخشى أن يقع بها هذا الوعيد؛ فإذا سَمِعتْ آيات الوعد والترغيب حصل لها اللين والاطمئنان، وهذا من هُدى الله الذي يهدي به من يشاء.

الثاني عشر: الشفاء لما في الصدور:

فالقرآن شفاء ودواء بلا شك ولا مراء، وهذا أمر محقق ومؤكد، فمن تدبره وعاش معه نال المراد، قال تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢]، فمن تدبر القرآن تفتحت بصيرته، واهتدى إلى الحق، وتنزلت عليه الرحمة والسكينة، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده))[(١)] .

إن كتاب الله تعالى هداية للأفئدة، وطمأنينة للنفوس وراحة للقلوب، وهو الذي يزيل الأحزان، ويذهب الهموم والغموم، ويرزق الله به الناس من الخيرات ما لا يتوقعونه، فهو القائل:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾[المائدة: ٦][(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٧٤) (٢٦٩٩).

(٢) ينظر: مقرر تدبر القرآن د محمد العواجي (ص ١١١- ١٢٧)، فن التدبر أ. د ناصر العمر (١٦٥- ٢١٤)، مذكرة دورة القرآن ليوسف المعاني (ص ٥٠-٥١).

❖ المطلب الرابع: أسباب الفهم الخاطئ لتدبر القرآن[1]:

١) الزيغ والانحراف العقدي.

٢) اتباع الهوى يعمي ويصم عن فهم القرآن.

٣) التعصب والتقليد الأعمى لطائفة أو مذهب بعينه.

٤) اتباع المتشابهات وترك المحكمات من كتاب الله.

٥) الاعتماد على الأحاديث الواهية والضعيفة عند التدبر، ورد الأحاديث الثابتة والصحيحة.

٦) الجهل بالناسخ والمنسوخ يؤدي إلى الفهم الخاطئ

٧) الجهل بأسباب النزول.

٨) الاعتماد على الاسرائيليات من غير تثبت أو تحقيق.

٩) عدم معرفة مدلولات ألفاظ اللغة العربية، ومخالفة الراسخين في العلم.

١٠) لي أعناق النصوص، وتحريف الأدلة عن مواضعها.

(١) ذكرت مختصرة ومن أراد التوسع فليراجع كتاب مقرر التدبر أ. د محمد عواجي (ص ٣٤٩- ٣٥٩).

❖**المطلب الخامس: سبل الوقاية والعلاج للفهم الخاطئ**[1].

١) جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها.

٢) جمع الأحاديث النبوية الثابتة، أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها.

٣) الرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات.

٤) معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية.

٥) مراعاة السياق الذي وردت به اللفظة والجملة القرآنية.

٦) معرفة أسباب النزول التي تعين على فهم النص القرآني.

٧) معرفة الناسخ والمنسوخ يعين على فهم القرآن فهما دقيقاً.

٨) التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة.

(1) ذكرت مختصرة ومن أراد التوسع فليراجع كتاب مقرر التدبر أ. د محمد عواجي (ص ٣٦٦- ٣٧٠).

المبحث الخامس: نموذج تطبيقي في تدبر سورة الكوثر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾[الكوثر:١ -٣]

أولاً: المعلومات التي تأتي قبل التفسير:

- **مناسبة السورة لما قبلها:** " ولما ذكر في سورة الماعون- وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١]، والسهو في الصلاة بقوله: ﴿ فَصَلِّ ﴾، والرياء بقوله: ﴿ فَصَلِّ ﴾، ومنع الزكاة بقوله: ﴿ وَانْحَرْ﴾؛ أراد: تصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعا بأربع" [(١)]

وهذا الذي ذكره أبو حيان رحمه الله (ت:٧٤٥هـ) من ملح التفسير، وغالب علم المناسبات من باب الملح واللطائف؛ لأن معرفتها لا تؤثر بالتفسير، وفقدها لا ينقص من معرفته.

- **التسمية:** تسمى سورة الكوثر، وعنونها البخاري في صحيحه سورة " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" وتسمى سورة النحر[(٢)].
- **مكيتها أو مدنيتها:** مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، وقيل أنها مدنية وهو الأظهر [التحرير والتنوير (٣٠/٥٧١)]
- **عدد آيها:** ثلاث بالاتفاق، وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف[(٣)].

---

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٥٥٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧١).

- **أغراض السورة**: اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أُعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة. (١)

فضل السورة: عن أنس رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾[الكوثر: ٢] ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك "(٢).

- **مقاصد السورة**: الامتنان على النبي ﷺ بالعطاء والخير الكثير الذي خُص به. وتسلية له وتأييداً، وتوجيهاً للشكر، ورداً وتوعداً للمفترين عليه(٣).

وهذا كله خارج عن حد التفسير؛ لأنه لا أثر له في بيان المعاني، وإن كان من العلوم المتعلقة بالآية مباشرة.

- **أحكام القرآن**: أشار القرطبي رحمه الله (ت:٦٧١هـ): إلى عدة مسائل فقهية، وفصل في بعضها، وهذه المسائل تتعلق بأحكام الأضحية، . ووضع اليمين على الشمال في الصلاة، والموضع الذي توضع عليه اليد في الصلاة، وأحوال رفع اليدين(٤)، وكل هذا محله كتب الفقه، لا كتب التفسير.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٠٠)، رقم (٤٠٠).

(٣)مقاصد سور المفصل (ص ٢٦).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/٢٢٠).

ثانياً: التفسير:

يخبر ربنا تبارك وتعالى نبيه ﷺ عن هبته له ذلك النهر العظيم في الجنة، الذي اسمه الكوثر، وهو جزء من الخير الكثير الذي أعطاه إياه.

ثم أمره الله بأن يؤدي شكر هذه النعمة بأن تكون الصلاة والذبح له سبحانه لا كما يفعل المشركون الذين يذبحون للأصنام.

ثم أخبره أن مبغضه هو المنقطع عن كل خير، بخلافك أنت فيما أعطاك الله من الخير[1].

ثالثاً: التدبر في سورة الكوثر:

تدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[الكوثر:١].

- **سر افتتاح الكلام بحرف التأكيد (إنَّ):** للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم، يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ[2].
- **دلالة مجيء ضمير العظمة** في قوله:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾: فيه تنبيه على عظمة العطية ؛ لأن الواهب هو جبار السموات والأرض[3].
- **سر التعبير العطاء بالماضي** في قوله :﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾: إشارة إلى تحقق الوقوع[4].
- **سر التعبير بالإعطاء دون الإيتاء:** إشارة إلى أن ذلك إيتاء على جهة التمليك فإن الإعطاء دونه كثيرا ما يستعمل في ذلك ومنه قوله تعالى لسليمان عليه السلام: ﴿هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص: ٣٩] بعد قوله: ﴿هَبْ لِي مُلْكاً ﴾[ص: ٣٥] [1].

---

(١) ينظر: تفسير جزء عم لمساعد الطيار(ص: ٢٤٧-٢٤٨)،مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر(ص: ٧٧-٧٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٧٢/٣٠).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣١٠/٣٢).

(٤) ينظر: روح المعاني للألوسي (٤٨٠/١٥).

- **قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾**، دل على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفراً وإن نال منه بعض أمته شيئا كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه[٢].
- وفيه إشارة إلى أن المعطى وإن كان كثيرا في نفسه قليل بالنسبة إلى شأنه عليه الصلاة والسلام بناء على أن الإيتاء لا يستعمل إلّا في الشيء العظيم كقوله تعالى:﴿ وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]، ﴿وآتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[الحجر: ٨٧] والإعطاء يستعمل في القليل والكثير كما قال تعالى: ﴿أَعْطى قَلِيلًا وَأَكْدى﴾ [النجم: ٣٤] ففيه من تعظيمه عليه الصلاة والسلام ما فيه[٣].
- الكلام مسوق مساق البشارة، وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم[٤].
- **سبب ورود الضمير المتصل بالكاف بدل اسمه أو صفته** ﷺ: تبييناً لقربه ودرجته ﷺ العظمى ومقامه الكبير عند ربه، وكذلك ليستشعر كل قارئ أنه معطى كذلك أو أن العطاء يشمله.[٥].
- **سر إطلاق الكوثر دون قيد:** إشارة إلى أنه خير مطلق، يشمل الخير الكثير والنعم الدنيوية والأخروية من الفضائل والفواضل.
- **في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾** إشارة إلى ضمه هذه العطية، إذ نسبها الله تعالى إلى نفسه والمآدب على قدر الأدب.

---

(١) ينظر: روح المعاني للألوسي (١٥/٤٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٥٣٠).

(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي (١٥/٤٨٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٢).

(٥) ينظر: مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٠).

- فضل الله تعالى نبيه محمد ﷺ وخصه بأمور دون سائر الأنبياء ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة.
- علينا اتباع سنة النبي ﷺ لنظفر بالورود على حوضه الذي يُمد من الكوثر.

تدبر قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[الكوثر:٢].

- **في مجيء قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ بعد قوله تعالى :﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾،** تعليم للإنسان أن يتوجه لربه بالشكر على النعم والعطايا.
- **توجيه الأمر هنا بالصلاة بالأمر المباشر :**﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾،خلافاً لمعظم الآيات التي تأمر بالصلاة بلفظ :﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أو ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: لبناء هذه السورة على الإيجاز والاختصار فهي أقصر السور، ولأن المخاطب بهذا الأمر بلغ درجة عالية ومقاما متقدماً فصلاته مقامة على الوجه المطلوب [١].
- **سر العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾:**
  - ✓ لأن وروده على طريق الالتفات من أمهات أبواب الفصاحة[٢].
  - ✓ لأن صرف الكلام من المضمر إلى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة ومنه قول الخلفاء لمن يخاطبونهم يأمرك أمير المؤمنين وينهاك أمير المؤمنين[٣].
  - ✓ ولما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبدة لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه[٤].
- **سر إضافة الرب إلى ضمير المخاطب ﴿ لِرَبِّكَ ﴾:**
  - ✓ لقصد تشريف النبي ﷺ وتقريبه.

---

(١) ينظر: مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٣) مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

✓ ولأن لفظ الرب يفيد التربية ويفيد الوعد الجميل في المستقبل أنه يربيه ولا يتركه[١].

- دلالة استخدام اللام في قوله: ﴿ لِرَبِّكَ﴾: تعريض بالمشركين بأنهم يصلون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها[٢].
- قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ يدل على أهمية هاتين العبادتين: الصلاة والذبح وأنهما من أبرز ما يُشكر الله به على النعم.
- **سر تخصيص الصلاة والنحر بالذكر:**

✓ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات[٣].

✓ لأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به[٤].

✓ لأن المشركين كانوا يصلون بالدعاء والتعظيم، ويتقربون بالقرابين للأوثان، فناسب ذلك البدء بتغيير هذه العادة الشركية بأن تكون صلاتنا وأنساكنا لله ربنا[٥].

- **في ذكر الصلاة والنحر بعد الإشارة للعطاء الكثير**: توجهك إلى شكر النعمة بحقها وهو الإخلاص والتجرد لله في العبادة وفي الاتجاه[٦].
- **سر ذكر النحر بعد الصلاة:**

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

(٣) تفسير السعدي (ص ٩٣٥).

(٤) تفسير السعدي (ص ٩٣٥).

(٥) معارج التفكر (١/٦٥٨) بتصرف، وينظر: مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٣).

(٦) في ظلال القرآن (٦/٣٩٨٨).

- ✓ لأن الصلاة أعظم العبادات البدنية فقرن بها أعظم أنواع الضحايا[١].
- ✓ لأن الأبل أعز الأموال عند العرب فأمره بنحرها، وصرفها إلى طاعة الله تعالى تنبيهاً على قطع العلائق النفسانية عن لذات الدنيا وطيباتها[٢].
- ✓ إشارة إلى أنك بعد فقرك تصير بحيث تنحر المائة من الإبل[٣].
- ✓ السورة مكية في أصح الأقوال وكان الأمر بالنحر جارياً مجرى البشارة بحصول الدولة وزوال الفقر والخوف[٤].

- **سر ذكر النحر بدل الذبح:**

- ✓ لأن النحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم.
- ✓ لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين[٥].

- لما ذكر الله منته على نبيه بالعطاء أمره بشكرها فقال:﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، وهو دليل على أن من أعظم صور الشكر العمل – عمل القلب وعمل الجوارح، ﴿ اِعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً﴾[سبأ: ١٣].
- في هذه السورة الأمر بالإخلاص لله عز وجل في الصلوات والنحر، وكذلك في سائر العبادات[٦].

تدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[الكوثر:٣].

---

(١)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٢) مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٣).

(٣)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٤)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٥) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٣٤).

(٦) التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

- ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ أي: مبغض النبي ﷺ أمره إلى زوال وعاقبته خسران ووبال.
- **من فوائد الالتفات** – أي من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب– في قوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ الدالة على أن ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له [١].
- أن الدعوة إلى الله لا يمكن أن تكون بتراء، ولا صاحبها أبتر، وكيف وهي موصولة بالله الحي الباقي؟ إنما يبتر الكفر والباطل وأهله مهما بدا أنه طويل الاجل ممتد الجذور. [٢].
- أن من أبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شيئاً من شريعته فإنه هو الأقطع الذي لا خير فيه ولا بركة فيه[٣].
- من أبغض شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام فإنه كافر، خارج عن الدين لقول الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[محمد: ٩] [٤].
- بيان شؤم عاقبة كل من عادى الرسول ﷺ.
- بيان مكانة النبي ﷺ وعظيم شأنه عند ربه ؛ إذ تولى الله تعالى بنفسه الدفاع عنه وأكرمه غاية الإكرام.
- مقياس الذكر بعد الممات ليس بكثرة الأولاد وإنما بما للإنسان من أعمال صالحة، وآثار طيبه يرفعه الله تعالى بها[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٣٣/١٦).

(٢) في ظلال القرآن (٣٩٨٩/٦).

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٣٤).

(٤) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٣٤).

(٥) مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٣-٢٤٤).

- **قال ابن تيمية**رحمه الله: حقيقة معناها تعلم من آخرها فإنه سبحانه وتعالى بتر شانئ رسوله من كل خير:
  - ✓ فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة.
  - ✓ ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحا لمعاده.
  - ✓ ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله.
  - ✓ ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرا ولا عونا.
  - ✓ ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها.

وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ﷺ ورده لأجل هواه، أو متبوعه، أو شيخه، أو أميره، أو كبيره.[مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٦)].

- ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ الحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئا مما جاء به الرسول ﷺ أو ترده لأجل هواك أو انتصارا لمذهبك أو لشيخك أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله [(١)].
- ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا أنه شانئ لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه ويشتغل بقول فلان وفلان[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٧).

- ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ وصفه بكونه شانئاً كأنه تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنه يبغضك والمبغض إذا عجز عن الإيذاء فحينئذ يحترق قلبه غيظاً وحسداً فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول المحنة لذلك العدو[1].
- **التسلسل العجيب لهذه السورة**: إذا أعطاك الله خيراً عظيماً – وأعظمه هذا الدين – وسخرك لدعوة الناس إليه وتعليمهم إياه، فتفرغ لعبادة ربك العبادة الشاملة، ولا تلتفت إلى ما يكيده خصومك لك من أذى حسي و معنوي، ولا تقلق بسبب ذلك، فعاقبتهم خسار وبوار ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2].

(١)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٥).

(٢) من كلام أ.د. ناصر العمر ينظر: ليدبروا آياته المجموعة السادسة (ص ١١٥).

الفصل الثاني:

وفيه منهج الاستنباط من القرآن، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الاستنباط، وأهمية علم الاستنباط، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الاستنباط.

المطلب الثاني: أهمية علم الاستنباط.

المطلب الثالث: موضوع الاستنباط ومجاله.

المطلب الرابع: أصناف المفسرين من جهة التفسير والاستنباط.

المطلب الخامس: الاستنباط في كتب التفسير.

المطلب الأول: نشأة الاستنباط:

ظهر الاستنباط من معاني القرآن الكريم مع ظهور التفسير نفسه، وصار ميداناً لتفاضل المفسرين في بيانهم معاني القرآن، فحين يشترك عامة المفسرين في إدراك المعاني الظاهرة المباشرة، يتفرد قلة منهم في إدراك ما وراءها من خفي المعاني ودقيقها.

كان أعلم السلف بالتفسير هم غالباً أعلمهم بالاستنباط، وفي طبقة الصحابة نرى لعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس – رضي الله عنهم – تميزاً ظاهر في باب الاستنباط، ويتلوهما عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب، وقد كانوا جميعاً أعلم الصحابة بالتفسير.

ثالثاً: نماذج من استنباطات السلف في أول تاريخ هذا العلم تكشف عن ظهوره وانتشاره، وعناية أئمة التفسير به:

- لما نزلت هذه الآية:﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[المائدة: ٣]، بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبي، ﷺ: "ما يبكيك؟ " قال رضي الله عنه: كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: "صدقت"[(١)].
- **قال ابن عباس رضي الله عنهما:** إن الدعاء ليرد القضاء وقد نزل من السماء اقرأوا إن شئتم ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم﴾ [يونس: ٩٨]، فدعوا صرف عنهم العذاب[(٢)].
- **قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** ما استقصى كريم قط لأن الله تعالى يقول: ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾[التحريم: ٣] [(٣)].

---

(١)أخرجه وابن أبي شيبة (٨/٧) (٣٤٤٠٨)، وابن جرير في تفسيره (٨/ ٨١)، وسنده مرسل، ومعناه صحيح.

(٢) الدر المنثور (٧٠٨/٧).

(٣) الدر المنثور (٢١٩/٨).

- **قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرّس في يوسف فقال لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا﴾[يوسف:٢١]، وأبو بكر حين تفرَّس في عمر، والتي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [سورة القصص: ٢٦] (١).

- **سُئلَ ابن مسعود رضي الله عنه:** أكان النبي عليه الصلاة والسلام يخطب قائما أو قاعدا؟ قال: " ألست تقرأ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١] (٢)."

- **قال قتادة** رحمه الله:﴿إِنِّي خشيت أَن تَقول فرقت بَين بني إِسْرَائِيل﴾ قال: قد كره الصالحون الفرقة قبلكم(٣).

- **قال الشعبي** رحمه الله: من قتل رجلين فهو جبار؛ قال: ثم قرأ ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[القصص:١٩] (٤).

- **قال عكرمة** رحمه الله: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر»، ثم قرأ ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[النحل: ٧٠] (٥)(٦)".

---

(١) جامع البيان للطبري (٦٣/١٣).

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٤٨/١) (٥١٨٣).

(٣) الدر المنثور (٥٩٥/٥).

(٤) جامع البيان للطبري (١٩٧/١٨).

(٥)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠/٦) (٢٩٩٥٧).

(٦) ينظر: علم الاستنباط من القرآن لنايف الزهراني (ص ٤٩-٥١).

❖ المطلب الثاني: أهمية علم الاستنباط:

- شرَّف الله تعالى علم الاستنباط وأهله، فذكره في كتابه الكريم، في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾[النساء: ٨٣].
- أن الله جعله من مراتب العلم، وسمى له أهلا يُرجع إليهم، فهو من أهم أسباب درك العلوم.
- أن الاستنباط كان من صفة الرسول ﷺ.
- أن الاستنباط صفة جماعة من علماء الصحابة رضوان الله عليهم فهم داخلين في وصف الآية، وقد قال عمر رضي الله عنه " فكنت أنا من استنبط ذلك الأمر"[1].
- العلم المستنبط أقرب إلى علم النبوة وأعلى درجة من غيره، فقد خص الله تعالى في الآية رسوله ﷺ بعلم حقيقة الأمر، كما خص بعلمه أهل الاستنباط دون غيرهم من أهل العلم.
- المعاني المأخوذة بالاستنباط أكثر وأغنى من معاني الألفاظ المباشرة، بل إن من أحكام الحوادث ما لا يُعرف بالنص وإنما بالاستنباط.
- الاستنباط قدر زائد على مجرد إدراك المعنى الظاهر، ومن ثم عز وجوده، وصعب إدراكه، ولا يؤتاه كل أحد، بل هو من مواهب الله تعالى التي يُنعم بها على من شاء من عباده.
- أن قوة الملَكة في الاستنباط تثمر قوة النظر في التفسير، وتحقيق المعاني فيه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٦/٤) رقم (١٤٧٩).

المطلب الثالث: موضوع الاستنباط ومجاله: ما وراء المعنى المراد من المعاني التابعة.

العلماء يُمايزون بين المعاني القرآنية المستفادة من الآيات، فيسمون ما كان من باب التفسير: ظاهر المعنى، والمعنى المراد، وتأويل الآية، والمعنى المباشر، ومعنى اللفظ، ونص الآية، ونحوها مما يتضمنه معنى التفسير وحده.

ويسمون ما كان من باب الاستنباط: باطن الآية، وما وراء اللفظ، وإشارات الآيات، ولطائف وملح ونكت الآيات، ومعاني المعاني، وروح المعاني، ورموز المعاني، وخفي المعاني، ومستتبعات التراكيب، وأسرار التأويل، وتأملات قرآنية، وظلال الآيات، وهداية الآيات، وفوائد الآيات...وغيرها.

بعض الأوصاف يستعمل في كلا المعنيين لدلالته على كل منهما من وجه نحو: حقائق المعاني، ودقائق التفسير، وحقائق التأويل، ومفاتيح الغيب، ودلائل المعاني.

ما يستنبط من المعاني هو: نظير المعنى الظاهر المراد الذي يوافقه في قصده أو يقاربه، ويتضمنه مدلول الفاظه [1].

(١) ينظر: علم الاستنباط من القرآن لنايف الزهراني (ص: ٤٤).

المطلب الرابع: أصناف المفسرين من جهة التفسير والاستنباط:

لو أردنا أن نقسم فسنجد القسمة ثلاثية:

الأول: مفسر غير مستنبط.

الثاني: مستنبط غير مفسر.

الثالث: مفسر مستنبط: يعني: جمع بين التفسير والاستنباط، فالمفسر غير المستنبط هذا كثير، بل إن أغلب التفاسير سارت على هذا القسم، الذي هو التفسير من دون الاستنباط.

فجمهور كتب التفسير قامت على التفسير ولم تقم على الاستنباط، قد تلاحظون في بعض الكتابات المعاصرة أنهم يطالبون المفسر بأن يعيش عصره وواقعه، والذي سيعيش عصره وواقعه ويحاول أن يربط الآيات بالواقع الذي يعيشه لابد أن يكون مفسراً مستنبطاً.

وهنا سؤال: هل يلزم المفسر من حيث هو مفسر أن يستنبط؟

والجواب: لا يلزم، وعلى هذا سارت جل التفاسير.

فالمقصد أنه يجب أن ننتبه إلى أن التفسير من حيث هو تفسير ليس محلاً لهذه القضايا، والخروج إلى هذه القضايا هو من باب الاستنباط والزيادة على التفسير.

والمستنبط غير المفسر موجود في عصرنا بكثرة وهنا قاعدة ينبغي التنبه لها وهي: (كل من دخل إلى التفسير أو القرآن وليس عنده تأصيل شرعي فسيكون عنده استنباطات وهو غير مفسر)، فسيكثر خطؤه وهذا ما نجده في هذا العصر كثيراً.

وأما المفسر المستنبط فهؤلاء في الحقيقة قلة، فعلى سبيل المثال: علماؤنا المتقدمون، مثل: ابن كثير أو ابن جرير أو ابن عطية أو غيرهم رحمهم الله، هؤلاء عندهم أداة الاستنباط، لكن لم يكن من منهجهم أن يسوقوا الاستنباطات في تفسيراتهم.

لكن نلاحظ الآن في هذا العصر أن كثيراً من طالبي علم التفسير يطلبون من المفسر جانب الاستنباط، فعلى سبيل المثال: لو ضربنا مثالاً بالشيخ /محمد بن العثيمين رحمه الله سنجد أنه تكامل عنده جانب التفسير وجانب الاستنباط، وعنده كثرة في الاستنباط، فكثير من طلاب العلم يطلبون مثل هذا المنهج، يكون فيه تفسير ويكون فيه استنباط، ولكن ليس كل أحد يقوى على هذا النوع وهو أن يكون مفسراً ومستنبطاً.

ومما ينبغي أن يعلم أننا لا نلزم دروس التفسير بهذا المنهج؛ لأنه ليس كل أحد يستطيع أن يتقن هذا الباب، أي: باب الاستنباط.

المطلب الخامس: الاستنباط في كتب التفسير:

لا يكاد يخلو كتابٌ من كتب التفسير المَوسَّعة والمتوسطة من الاستنباط، بل أفردَ بعضهم علم الاستنباط في مصنفات مستقلة عن التفسير، وهذه أمثلةٌ من أشهر هذه المصنفات في خصوص هذا العلم:

١) **تفسير التستري** (ت: ٢٨٣هـ)، و(**لطائف الإشارات**)، لأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥)، و(**حقائق التفسير**)، لأبي عبد الرحمن السلمي (ت:٤١٢هـ)، وموضوعها الإشارات الصوفية، واستنباطات المعاني الإيمانية.

٢) "**نكت القرآن الدالَّة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**"، للقصاب الكرجي (ت: ٣٦٠)، وموضوعه استنباطاتٌ في عامة العلوم الشرعية، واللغوية، ويغلب عليها الاستنباطات الفقهية، والعقدية.

٣) "**حُجَجُ القرآن**"، لأبي الفضائل أحمد بن محمد بن مظفر الرازي (ت: ٦٣١هـ)، استنبط فيه الحُجج الاعتقادية لعامة الفرق الإسلامية من جميع القرآن الكريم.

٤) " **الإكليل في استنباط التنْزيل**"، للسيوطي(ت: ٩١١هـ)، وموضوعه استنباطاتٌ فقهية، وأصولية، واعتقادية، وبعضاً ممَّا سوى ذلك، وقرن فيه الاستنباط بتفسير الآية حيث توقف فهم الاستنباط عليها.

٥) " **المواهب الربانية من الآيات القرآنية** " لعبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ) وذكر أنه قيد فيه الفوائد والمعاني التي لم تقع له من قبل.

٦) "**فصل في معانٍ مستنبطة في سورة النور**" لابن تيمية.

٧) "**المعاني المستنبطة من سورة الفاتحة** " لابن عقيل الظاهري[1].

ولا يلزم من إفراد الاستنباط في كتب خاصة أن تخلوا من التفسير، أو فوائد تتعلق بمعاني الآيات المباشرة، بل يوجد فيها هذا وهذا.

---

(١) ينظر: نكت القرآن (١/ ٧٧)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٢٨١)، معجم المفسرين (١/٦٥)، المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص١٤)، علم الاستنباط من القرآن لنايف الزهراني (ص ٥١-٥٤)

المبحث الثاني :

شروط الاستنباط، وأركانه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : شروط الاستنباط من القرآن الكريم.

المطلب الثاني : أركان الاستنباط.

❖ المطلب الأول: شروط الاستنباط من القرآن الكريم:

مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم، وهذه المكانة للمستنبطين لا تثبت إلا بتوفر شروط خاصة في المستنبِط تؤهله للارتقاء إلى مرتبة من أثنى الله عليهم في كتابه. ويمكن تقسيم الشروط التي تصحح مسار الاستنباط من كتاب الله تعالى إلى قسمين :

١) **الشروط الخاصة بالمستنبِط:** (وهذه متعلقة بمن أراد الاستنباط من كتاب الله من جهة تكوينه وتأهيله للاستنباط).

الشرط الأول: صحة الاعتقاد.

لما كان الاستنباط من القرآن عمل بشري، يصدر عن بذل المجتهد وسعَه للوصول إلى المعاني والأحكام الخفية، فلا بد أن يكون لما يعتقده المستنبِط أثرٌ على ما يستخرجه من النصوص، وما يرجحه من المعاني، ومن خالف المعتقد الصحيح لا يؤمن استنباطه،

قال مناع القطان رحمه الله **في مباحث علوم القرآن:** "فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيرًا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، فإذا صنف أحدهم كتابًا في التفسير أوَّل الآيات التي تخالف عقيدته، وحمَّلها باطل مذهبه، ليصد الناس عن اتباع السلف، ولزوم طريق الهدى"[(١)].

وأهم ما يشترط تصحيحه في جانب العقيدة وله تأثير كبير في صحة الاستنباط أمران:

الأول: صحة مصادر التلقي: فمنهج أهل السنة والجماعة يقوم على اعتماد الوحيين، ولهم في ذلك قواعد منهجية مهمة ذكرها العلماء في كتب العقيدة، وقد كان سلوكهم لهذا المنهج من أعظم ما أنعم الله به عليهم حيث وفقوا للصواب واتباع المنهج الحق.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١٦/٧).

وحينما خالف هذا المنهج فرق متعددة نتج عن ذلك ظهور البدع والمنكرات، ووقعوا في الانحرافات الكثيرة في استخراج الأحكام من النصوص، ومن هذه الفرق المخالفة:

الرافضة الذين ادعوا تحريف القرآن وابتدعوا مصادر أخرى للتلقي كأقوال الأئمة.

وغلاة الصوفية الذين اعتمدوا على الكشوف، وكذلك الباطنية، وبعض أهل الكلام كالجهمية والمعتزلة[1].

حكم استنباط الفرق المخالفة للمعتقد الصحيح: أمثال هؤلاء لا عبرة بما تعلق بخلافهم من استنباطات ولا قبول لها.

مثال على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)﴾ [سورة المائدة:٥٥].

استنبط الرافضة من هذه الآية أحقية علي بن أبي طالب بالإمامة قبل أبي بكر وعمر، قال الطبرسي: "واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين (علي) بعد النبيﷺ بلا فصل"[2].

يتضح من هذا المثال أنهم بنوا هذا الاستنباط على معتقدهم بأحقية علي رضي الله عنه بالإمامة قبل الشيخين رضي الله عنهم، وعدم اعتمادهم على السنة الصحيحة فكان استنباطهم باطلاً.

الثاني: سلامة القصد والبعد عن الهوى:

من المعلوم أن اتباع الهوى والتعصب لغير النص حاجب عن الوصول إلى أسرار كتاب الله تعالى، والأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان، كدأب طوائف

---

(١) ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٣)، منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والجماعة للصويان (ص٢٩)، منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي (ص ٢٢٣-٢٢٥).

(٢) مجمع البيان في تأويل القرآن للطبرسي (٢٩٨/٣).

القدرية، والرافضة، والمعتزلة، ونحوهم من غلاة المذاهب.

قال ابن تيمية رحمه الله: "قومٌ اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها... تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحمّلونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقًا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول... مثل طوائف من أهل البدع، اعتقدوا مذهبًا يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط، الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم، تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه"[1]، فإن أعياهم الدليل، وأعجزهم التأويل، ولم يجدوا بغيتهم في ظاهر النصوص، عمدوا إلى تحريف ظواهرها، وتحميل بواطنها ما لا تحتمل، وما ذاك إلا لسيطرة معتقداتهم على سلوكهم وتصرفاتهم، إذ أصبحت يقيناً في قلوبهم، لا يمكن أن يسلموا من تأثيره[2].

الشرط الثاني: معرفة التفسير الصحيح:

يشترط في المتصدي للاستنباط من القرآن العلم بالعلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى، ونيل قدر كاف منها للتعامل معه، فلا ينبغي له التصدي للاستنباط وهو غير عالم بتفسيره، إذ لا يُستنبط من القرآن إلا بعد فهم معانيه، قال الغزالي رحمه الله: "فمن لم يحكم بظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي"[3].

ومعرفة تفسير كلام الله من أشرف العلوم وأجلها، وهو مرحلة متقدمة على الاستنباط فلا يتم الاستنباط إلا بعد معرفة التفسير الصحيح للآية ؛ بل لا يمكن العمل بتعاليم القرآن واستخراج الفوائد

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٥).

(٢) ينظر: أسباب الخطأ في الاستنباط لسالم الشهري (ص ٥٩)

(٣) إحياء علوم الدين (١/٢٩١).

والحِكَم منه إلا بعد فهمه وتدبره، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق التفسير لما تدل عليه ألفاظ القرآن خصوصاً في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر وإنقاذ الناس وإعزاز العالم، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن وتوافروا على قراءته كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليه[1].

مثال على الخطأ المبني على الاجتهاد:

ما استنبطه قدامة رضي الله عنه من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾[المائدة:٩٣]، فاستنبط جواز شرب المسكر له [2]، اجتهاداً منه.

وسبب الخطأ في الاستنباط هنا هو الخطأ في تفسير الآية، وعدم معرفة السبب الذي نزلت فيه فلما تبين السبب الذي نزلت فيه وأن الأمر دائراً في حدود السبب بطل الاستنباط الخارج عنه.

ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أخطأت التأويل إنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك»[3].

الشرط الثالث: العلم باللغة العربية:

لما كان القرآن عربياً لزم أن يكون المتعامل معه عالماً بعلوم اللغة التي نزل بها، قال مجاهد رحمه الله: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»[4].

---

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١٠/٦-٧)، منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي (ص ٢٤٠).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/٥٨٤).

(٣) الموافقات (٨/ ٢٠٤)، منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي (ص ٢٤٠).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢١٣).

وقد اشترط العلماء العلم بعلوم اللغة العربية للمفسر وكذلك للمجتهد، والمستنبط أولى بذلك منهما إذ مرتبته أعلى، فالمتعامل مع كتاب الله تعالى إذا لم يكن عالماً بالعربية أخطأ كثيراً، قال الشاطبي رحمه الله: "وكثيرًا ما يوقع الجهل بكلام العرب في مخازٍ لا يرضى بها عاقل، أعاذنا الله من الجهل والعمل به بفضله"(١).

مثال على ذلك:

استنبط بعضهم من قوله تعالى:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[النساء: ٣]، جواز نكاح الرجل تسع نسوة حرائر حيث جمع العدد المذكور في الآية.

قال الشاطبي رحمه الله: "ولا يقول مثل هذا من فهم وضع العرب في مثنى وثلاث ورباع " (٢).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وهذا جهل شنيع في معرفة الكلام العربي"(٣).

الشرط الرابع: معرفة طرق الاستنباط:

بين العلماء طرق الاستنباط، وميزوا صحيحها من عليلها، فيلزم المستنبِط معرفتها والالتزام بصحيحها وتجنب عليلها، فإن عدم معرفة المستنبط لطرق الاستنباط الصحيحة، أو عدم سلوكها وإن علم بها، يوصل – ولا بد– إلى الخطأ في الاستنباط، إذ إن لأهل الاستدلال والاستنباط مآخذ سار عليها السلف الأول، واستمر عليها المتبعون لهم الذين رسخ علمهم بتلك الطرق وقواعدها، فالحياد عن تلك المآخذ جهلاً بها أو تجاهلاً لها يوقع في الخطأ(٤).

إن اشتراط هذه الشروط في المتصدي للاستنباط، لا يعارض أمر الله ورسوله ﷺ بالتمسك بكتاب

---

(١) الاعتصام (١/ ٣٠٣).

(٢) الموافقات (٣/ ٢٩٤).

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ٢٢٥).

(٤) ينظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٨١). منهج الاستنباط من القرآن لفهد الوهبي (ص ٢٦٢).

الله، والرجوع إليه عند الاختلاف في أمر من الأمور.

فإن الكتاب والسنة منبعا الشريعة، ومصدرها الأصلي، وهما موردان صافيان، من وردهما وجد الحق صافياً نقياً، لكن ليس كل الناس أهلاً لورودهما؛ بل إن ورود بعض الناس على هذين الموردين قد يعكر صفوهما، ويفسد عذوبتهما، فإنه يضرب النصوص بعضها ببعض، ويخلط صحيحها بضعيفها، ويتعامل مع منسوخها كما يتعامل مع ناسخها، ومع متشابهها كما يتعامل مع محكمها، لذا كان طريق وردهما ممنوعاً إلا لمن تأهل له، وليس في هذا المنع إبطال لما أمر الله ورسوله ﷺ به، من الرجوع إلى هذين الموردين، بل هما مفتوحان لعامة الناس، وكتاب الله متيسر وميسر للنظر فيه والتأمل والتدبر، وقد أمر الله حتى المشركين بتدبر آياته، لكن هذا فيما هو متيسر لعامة الناس، وهو القدر المشترك الذي يستطيع من يقرأ القرآن الوصول إليه، وهو الذي سماه الزرقاني "أدنى مراتب التفسير" يقول: "هذه الشروط التي ذكرناها، وهذه العلوم كلها، إنما هي لتحقيق أعلى مراتب التفسير... أما المعاني العامة، التي يستشعر منها المرء عظمة مولاه، والتي يفهمها الإنسان عند إطلاق اللفظ الكريم، فهي قدر يكاد يكون مشتركًا بين عامة الناس، وهو المأمور به للتدبر والتذكر، لأنه -سبحانه- سهله ويسره، وذلك أدنى مراتب التفسير"(١).

وهذه الطرق هي دلالات الألفاظ وقواعد الاستنباط التي أصلها العلماء وبينوها في كتبهم، وحذروا من سلوك طَرْق طُرُق مخالفة لها.

ويقول الطوفي رحمه الله مميزاً بين المجتهد والعامي فيما جاء الأمر فيه بالاعتبار والتدبر والاستنباط، "قوله ﷻ: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾ [سورة الحشر:٢] وقوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤ ﴾[سورة محمد:٢٤] وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ

(١) ينظر: مناهل العرفان (٢/ ٥١)، أسباب الخطأ في الاستنباط لسالم الشهري (ص ١١٢).

ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

[سورة النساء:٨٣] أمر بالاعتبار وهو الاجتهاد، وحض على التدبر والاستنباط، وهو يدل على وجوبه على العموم، ترك في العامي لعدم أهليته، ففي غيره يبقى على مقتضاه في وجوب الاجتهاد"[١].

وعند التأمل في المناهج المخالفة للمنهج الصحيح في الاستنباط من القرآن فإنه يمكن حصرها في المناهج التالية:

أولاً: المنهج الحرفي: وهو الموقف الحرفي من النصوص وتفسيرها، كما عند الخوارج والظاهرية ، والخوارج بصفة عامة لا يتعمقون في التأويل، ولا يغوصون وراء المعاني الدقيقة، ولا يكلفون أنفسهم عناءَ البحث عن أهداف القرآن وأسراره، بل يقفون عند حرفية الفاظه، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية[٢].

ثانياً: المنهج التأويلي:

أي تأويل النصوص، لتسلم أصولهم الفاسدة، كما عند الجهمية والمعتزلة، ثم أهل الكلام من متأخري الأشاعرة، والماتريدية، وبعض الصوفية، والشيعة، ومتأخري الخوارج.

ثالثاً المنهج الباطني والإشاري والرمزي:

أي اعتقاد أن النصوص لها تفسير باطني مخالف لمعانيها الظاهرة المفهومة لدى السامعين، توافق أصولهم الفاسدة، كما عند الرافضة، والباطنية، والفلاسفة، وغالب الصوفية وأهل الحداثة[٣].

---

(١) شرح مختصر الروضة (٣/ ٦٣٥).

(٢) قضية التأويل في القرآن لإبراهيم سالم (٢/ ٣٧)، منهج الاستنباط من القرآن لفهد الوهبي (ص ٢٦٣).

(٣) مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للعقل (١٨/١٧)، منهج الاستنباط من القرآن لفهد الوهبي (ص ٢٦٣).

مثال ذلك:

ما ذكره ابن الجوزي والقرطبي عن بعض الصوفية في قوله تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)﴾[ص:٤٢].

قال القرطبي رحمه الله: "استدل بعض جهال المتزهدة، وطُغام المتصوفة بقوله تعالى لأيوب: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ على جواز الرقص"(١).

وهذه الآية لا تدل على ما أرادوا اثباته، ولذلك قال أبو الفرج الجوزي رحمه الله: "وهذا احتجاج بارد، لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة، وإنما أمر بضرب الرِّجل لينبع الماء"(٢).

وهذا الاستنباط غير صحيح، وما بني على فاسد فهو فاسد.

٢) الشروط الخاصة بالمعنى المستنبَط:

المعنى المستنبط هو ثمرة الاستنباط من القرآن، وإذا صح هذا المعنى كان محلاً للقبول والعمل، وصحته مرهونة بالسلامة من العوارض التي تقدح فيه وتُبطله، ولصحة المعنى المستنبط وضع العلماءُ شروطاً منها:

الشرط الأول: سلامة المعنى المستنبط من المُعارض الشرعي:

عند التأمل في المعنى المستنبط من حيث معارضة الشرع أو تأييده له يتبين أنه لا يخلوا من ثلاث حالات:

الأولى: أن يثبت ما يؤيده شرعاً: وذلك بأن يدل دليل آخر على صحة ذلك المعنى المستنبط

مثال ذلك:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢١٥).

(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص٩٥).

استنباط الشافعي رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة من قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾[المطففين :١٥]، وقد ثبت ما يؤيد هذا الاستنباط من القرآن والسنة.

ثانياً: أن يثبت ما يعارضه شرعاً: وذلك بأن يخالف المعنى المستنبط نصاً قاطعاً، أو إجماعاً، أو أصلاً كلياً من أصول الشريعة، وهذا موجب لبطلانه ورده.

مثال ذلك:

ما استنبطه المعتزلة من أن رؤية الله مستحيلة من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)﴾[البقرة: ٥٥]

قال الرازي رحمه الله:" استدلت المعتزلة بذلك على أن رؤية الله ممتنعة"(١).

قال الشنقيطي رحمه الله: " واستدلال المعتزلة بهذه الآية، وأمثالها على أن رؤية الله مستحيلة استدلال باطل ومذهبهم والعياذ بالله من أكبر الضلال، وأعظم الباطل، وقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية: إن الله لا يرى، قول باطل، وكلام فاسد. والحق الذي لا شك فيه: أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم يوم القيامة كما تواترت به الأحاديث عن الصادق المصدوق ﷺ، ودلت عليه الآيات القرآنية منطوقا ومفهوما."(٢).

ثالثاً: ألا يثبت ما يؤيده أو يعارضه شرعاً: وفي هذه الحالة إذا صحت الدلالة على المعنى، فيحكم بأنه صحيح ومقبول.

الشرط الثاني: أن يكون بينه وبين اللفظ ارتباط صحيح:

من أهم الشروط للمعنى المستنبط أن يكون بينه وبين اللفظ المستنبط منه ارتباط، فيكون بينه وبين

---

(١) مفاتيح الغيب (٣/٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٣/٧٩).

لفظ الآية ترابط، وذلك بأن تدل عليه الآية فيَصِحَّ كونه مستنبطاً منها، وإلا بَقِيَ الاستنباطُ بمعزلٍ عن معنى الآية، ولا علاقة تربطه بها.

مثال ذلك:

ما استخرج بطريق القياس والإشارة من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾[الواقعة:٧٩]، من أنه إذا كان ورقُهُ لا يمسه إلا المطهرون فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة.

فأنت ترى لا ارتباط بين المعنى المذكور وهو أنه لا يهتدي لمعاني القرآن إلا القلوب الطاهرة، وبين لفظ الآية التي تتحدث عن مس القرآن أو اللوح المحفوظ إلا من طريق القياس والاعتبار[(١)].

الشرط الثالث: أن يكون مما للرأي فيه مجال:

لا شك أن ميدان الاستنباط من القرآن ميدان واسع وشامل لجميع مجالات الشريعة، فالقرآن دال على الخير بأنواع الدلالات المتنوعة الظاهرة والخفية.

ويستثنى من هذا الشمول ما استأثر الله بعلمه، فلا يستنبط من القرآن.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: " أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ....وأنّ منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار. وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك: فإن تلك أوقاتٌ لا يعلم أحدٌ حدودَها، ولا يعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه[(٢)].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٣٣-٣٤)، منهج الاستنباط من القرآن لفهد الوهبي (ص ٢٩٦).

(٢) جامع البيان للطبري (١/٣٣-٣٤).

مثال ذلك:

استنبط بعضهم عُمْرَ النبي ﷺ ثلاثاً وستين من قوله في سورة المنافقين:﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾[المنافقون:١١]، فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها «بالتغابن»، ليظهر التغابن في فقده[١].

فهذا الاستنباط داخل فيما استأثر الله بعلمه من معرفة الآجال وقد قال جل وعلا: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤]، ولا يمكن أن يشير القرآن إلى شيء من ذلك وقد استأثر الله سبحانه بعلمه [٢].

✓ استنباط اليهود مدة هذه الأمة من الأحرف المقطعة في بداية السور.

الشرط الرابع: أن يكون المعنى المستنبَطُ مفيداً: إذ ينبغي صيانةُ كلام الله تعالى عمَّا لا فائدةَ فيه من المعاني تفسيراً أو استنباطاً، وما لا فائدة فيه من المعاني يشملُ كُلَّ معنىً أبطل معنى الآية الظاهر، أو نزل ببيان القرآن العالي، أو حَطَّ من إجلاله وتعظيمه الواجب، أو ارتبط بعلوم فاسدة، أو لا فائدة فيها شرعية أو دنيوية.

الشرط الخامس: أن يكون المعنى المستنبط جارياً على لسان العرب:

قال الشاطبيرحمه الله: "كلُّ معنىً مستنبط من القرآن غيرِ جارٍ على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يُستَفاد منه، ولا مما يُستَفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل"[٣].

قال الدكتور خالد السبت: "القرآن عربي فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في

---

(١) جامع البيان للطبري (١/٣٣-٣٤).

(٢) ينظر: منهج الاستنباط من القرآن لفهد الوهبي (ص ٣٠٤).

(٣)الموافقات ٤/٢٢٤، وقال خالد السبت في قواعد التفسير (١/٢٥٨): "لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث"، وفي (١/٢٦٠).

تقرير معانيها"[1].

الشرط السادس: ألاَّ يكون المعنى المستنبَطُ مُتَكَلَّفاً: وهذا شرطُ كمالٍ يصون هذا العلم عن الابتذال؛ إذ المعاني المستنبطة لا تُحَدُّ، ومراتبها في القرب والبعد والظهور والخفاء متفاوتة، فلزمَ ضبط كُلِّ ذلك بصيانة المعنى من التكلف.

(١)قواعد التفسير (١/٢٦٠).

المطلب الثاني: أركان الاستنباط.

✓ **الركن الأول: النص.**

وهو القرآن الكريم؛ فإذا كان الاستنباط من التفسير فلا يعتبر ذلك استنباطاً من نص القرآن.

والنص القرآني على قسمين:

١) **النص الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير.**

مثل: ﴿ أقيموا الصلاة ﴾، ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾[آل عمران:٢]، ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾، وهنا يكون الاستنباط من النّص مباشرة؛ بحيث يعمل المستنبط ذهنه في النّص لاستخراج مكنونه بطرق الاستنباط المختلفة.

٢) **النّصوص الخفيّة التي فيها كلمات تحتاج إلى شرح وبيان؛** فكلّ ما يدخل في درجات الخفاء عند الأصوليّين يكون من النص الخفيّ غير الواضح.

مثل: كلمة الرّهان في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة:٢٨٣]،مسألة الخفاء يتفاوت النّاس فيها، فما يراه البعض خفيّا لا يكون كذلك عند آخرين؛ فهي **مسألة نسبيّة** ليست على حدّ واحد.

وللاستنباط من النصوص الخفيّة لا بد أوّلاً من تحرير المعنى والتّفسير الصّحيح للآية قبل استخراج المعنى.

فالشرط الوحيد للنص: أن يكون المعنى الذي بني عليه الاستنباط صحيحاً؛ ولو كان المعنى خاطئاً فسينبني عليه استنباطاً خاطئاً.

أمثلة للاستنباط من المعنى الواضح:

- **استنباط صحيح:**

قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قال اجعلني على خزائن الأرض ﴾[يوسف:٥٥]

يستنبط منها: جواز طلب الولاية لمن كان أهلا لها.

طريق الاستنباط: الاستنباط من أفعال الأنبياء.

قاعدة: "كلّ ما ورد في القرآن من أفعال الأنبياء فهو محل للقدوة"؛ إلا إذا جاء في القرآن أو السنّة ما يخالفه.

استنباط خاطئ:

مثاله الاستنباط من قوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استنبط منها بعض الفرق: أن العمل غير الإيمان. وأنّ الإيمان في القلب، وليس من العمل، وهو **مذهب المرجئة**.

اعتمادًا على قاعدة: العطف يقتضي التغاير. والصحيح أن هذه القاعدة ليست مطردة.

ولتقرير صحة الاستنباط ينبغي تقرير صحة القاعدة التي بني عليها.

أمثلة للاستنباط من الآيات خفية المعنى:

استنباط صحيح: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٨]، يمكن أن تكون خفيّة من ناحية وجود بعض الكلمات خفيّة المعنى؛ والخفاء أمر نسبيّ.

استنبط منها العلماء قاعدة: درء المفاسد.

وهو **استنباط صحيح** مبنيّ على تأمّل علل أفعال الله تعالى وعلل الأوامر والنّواهي؛ فعلّة النّهي هنا عدم الوقوع في مفسدة أعظم، وهي سبّ الله تعالى.

وقاعدة: "درء المفسدة مقدّم على تحصيل المنفعة" قاعدة مطّردة.

استنباط خاطئ:

مثاله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾[البقرة:٢٨٣]، استنبط منها بعضهم: أنّ الرّهن لا يجوز إلا في السّفر. والرّهن: مقابلة الدّين بعين.

طريق الاستنباط: الشّرط –وهو أحد أنواع مفهوم المخالفة–.

وهذا **الاستنباط باطل**، لمخالفته ما هو أرجح منه، فهو قد خالف نصّاً صريحاً هو أنّ النبي ﷺ قد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي، وهذا في الحضر. وفعله يدلّ على الجواز، وهو مخالف لهذا الاستنباط.

الركن الثاني: المُستنبِط.

وهو من يريد استخراج معنى، أو حكم، أو فائدة من القرآن الكريم؛ ولا بدّ فيه من شروط وقد تم ذكر ذلك في شروط المستنبِط.

الركن الثالث: طريق الاستنباط.

وهو إما دلالة أصولية أو قاعدة من قواعد الاستنباط.

فطرق الاستنباط الصحيحة التي توصل إلى المعاني المستنبطة بطريق صحيح، وهذه الطرق هي:

أولا: الاستنباط بدلالة الإشارة:

مثال تطبيقي للاستنباط بدلالة الإشارة:

قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة:٢٣٦].

هذه الآية سيقت لبيان أن طلاق الزوج قبل الدخول وقبل أن يفرض لها مهراً في عقد الزواج، –بأن كان العقد خلواً من تقدير المهر– هو طلاق مشروع وهذا هو المعني المأخوذ بعبارة النص.

وأما ما يستنبط دلالة الإشارة: فهو أن عقد الزواج لا يصح بدون ذكر المهر أصلاً.

ووجه الاستنباط: أنه لا يصح الطلاق إلا بناءً على زواج صحيح قائم.

وبيان التلازم هنا: أن الله أباح الطلاق لمن لم يسم المهر ولم يذكره، وإباحة الطلاق تستلزم وجود زواج صحيح، فيستنبط من ذلك صحة عقد الزواج بدون ذكر المهر أصلاً.

ثانيا: الاستنباط بدلالة النص.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

فهذا اللفظ يدل بعبارته على تحريم التأفيف للوالدين.

ويستنبط منه بدلالة النص (مفهوم الموافقة): تحريم زجرهما بأي كلمة.

ثالثا: الاستنباط بدلالة المفهوم.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[النساء:٤].

فحِلّ الأخذ من مهر الزوجة على شرط هو: رضاها.

ويستنبط بمفهوم المخالفة: حرمة أخذ شيء من مهرها دون رضاها، لانتفاء الشرط.

رابعا: الاستنباط بدلالة الاقتران.

مثاله: استنبط عدد من العلماء وجوب العمرة من قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّه ﴾ [البقرة:١٩٦]حيث قرن العمرة بالحج، والحج واجب، فتكون العمرة مثله.

خامسا: الاستنباط بالمطرد من أسلوب القرآن.

مثاله: استنباط أنه من الأدب تحسين العبارة بالكناية ونحوها في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يستحي من ذكره في عاداتنا. وذلك من عادة القرآن كقوله تعالى: ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائِكم...﴾[البقرة:١٨٧].

الركن الرابع: المعنى المُستنبَط.

وهو نتيجة الاستنباط وقد يكون حكماً عقدياً، أو فقهياً، أو سلوكياً، أو غير ذلك، والشروط الخاصة بالمعنى المستَنْبَط وقد تم ذكر ذلك في شروط المعنى المستنبَط.

وسنذكرها باختصار للتذكير: وهي أربعة شروط:

الشرط الأول: أن يكون مبنياً على تفسير صحيح.

الشرط الثاني: أن يكون بينه وبين اللفظ ارتباط وتلازم.

الشرط الثالث: سلامته من معارض شرعي.

الشرط الرابع: أن يكون مما للرأي فيه مجال.

المبحث الثالث:

أقسام الاستنباط، وأسباب الانحراف فيه،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقسام الاستنباط.

المطلب الثاني: أسباب الانحراف في الاستنباط من القرآن الكريم.

المطلب الأول: أقسام الاستنباط.

ينقسم الاستنباط إلى عدة اعتبارات[1]:

الاعتبار الأول: باعتبار وضوح النص وخفاءه ينقسم إلى:

١) استنباط من نص واضح (ظاهر).

٢) واستنباط من نص غير واضح (خفي)[2].

الاعتبار الثاني: باعتبار الإفراد والتركيب:

لا يقتصر الاستنباط من القرآن على التأمل في الآيات على جهة الإفراد، بل يمكن استخراج المعاني البينة والفوائد الدقيقة بطريق آخر لطيف ألا وهو ضم النصوص بعضها إلى بعض، وعلى هذا فيمكن تقسيم الاستنباط من حيث إفراد النص أو ضمه إلى نص آخر إلى قسمين:

١) استنباط من نص واحد:

وهو أكثرها وجوداً في كتب العلماء، ومن أمثلته:

المثال الأول:

قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾[النساء: ١١٥].

استنبط منها الشافعي: حجية الإجماع[3].

قال ابن كثيررحمه الله:"والذي عوَّل عليه الشافعيرحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم

---

(١) منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي (ص ١٤٢).

(٢) سبق الكلام عليه في (المحاضرة الخامسة).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١/٣٩-٤٠)، مفاتيح الغيب (١١/٤٣)، البرهان في علوم القرآن (٢/٤).

مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروّي والفكر الطويل. وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك[1].

وجه هذا الاستنباط:

أن الله تعالى توعد على اتباع غير سبيل المؤمنين وسبيلهم هو ما أجمعوا عليه ولو لم يكن محرماً لما توعَّد عليه.

قال الشوكاني رحمه الله: "ووجه الاستدلال بهذه الآية أنه سبحانه جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحا لما جمع بينه وبين المحظور فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين محظورة"[2].

تحليل الاستنباط:

ولهذا الاستنباط طريقان:

الأول: أن ما توعد الله عليه في كتابه فإنه يدل على تحريمه، وعلى إيجاب ضده.

الثاني: بدلالة الاقتران حيث قرن الله تعالى بين مخالفة سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول فدل على اشتراكهما في الحكم.

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..﴾[البقرة:١٨٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤١٣/٢).

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني (١٩٨/١).

استنبط الشافعي منها: صحة صوم من أصبح جنباً[1].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً[2].

وجه الاستنباط:

أن إباحة المباشرة إلى الصبح تقتضي وقوع الغسل بعد الصبح.

تحليل الاستنباط:

وهذا الاستنباط مستفاد من مفهوم الغاية: وذلك في كلمة " حتى " والتي دلت على أن حل المباشرة ينتهي عند طلوع الفجر.

وهو مستفاد من اللزوم: فإنه يلزم من ذلك أن يطلع عليه الفجر وهو مجنب.

قال ابن عثيمين رحمه الله **في توجيه هذا الاستنباط:** لأن الله أباح الجماع حتى يتبين الفجر، ولازم هذا أنه إذا أخر الجماع لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر[3].

٢) استنباط من أكثر من نص:

وهو ما يسميه ابن القيم دلالة التركيب، وهو ضم نص إلى نص آخر، وهذا من ألطف فهم النصوص وأدقة.

- **المثال الأول:**

قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[الأحقاف: ١٥]، مع قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[البقرة: ٢٣٣].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١١٩/٥)، البرهان في علوم القرآن (٤/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥١٦/١).

(٣) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣٥٤/٢).

استنبط منها علي وابن عباس رضي الله عنهم أن المرأة قد تلد لستة أشهر[١].

قال ابن كثير رحمه الله: " وهو استنباط قوي وصحيح"[٢].

وجه هذا الاستنباط:

أن الله تعالى بين في آية البقرة مدة الرضاع حولين كاملين وهي أربعة وعشرين شهراً، وبين في آية الأحقاف مدة الحمل والفصال ثلاثون شهراً، فإذا أخذ منها مدة الفصال بقي للحمل ستة أشهر.

قال ابن عطية رحمه الله: وقوله تعالى:﴿ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ يقتضي أن مدة الحمل والرضاع هذه المدة، لأن في القول حذف مضاف تقديره: ومدة حمله وفصاله، وهذا لا يكون إلا بأن يكون أحد الطرفين ناقصا، وذلك إما بأن تلد المرأة لستة أشهر وترضع عامين، وإما بأن تلد لتسعة على العرف وترضع عامين غير ربع العام، فإن زادت مدة الحمل نقصت مدة الرضاع، وبالعكس فيترتب من هذا أن أقل مدة الحمل ستة أشهر[٣].

- **المثال الثاني:**

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾[الحجرات: ٦] مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾[التوبة: ١٢٢].

استنبط منها بعض الأصوليين وجوب قبول خبر الواحد العدل[٤].

---

(١) جامع البيان للطبري (٢/٥٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٠).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٩٧).

(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ١١٢).

وجه هذا الاستنباط:

قال ابن حزم رحمه الله **في بيان وجه الاستنباط:** لا يخلو الناظر للتفقه في الدين من أن يكون عدلا أو فاسقا ولا سبيل إلى قسم ثالث، فإن كان فاسقا فقد أمرنا بالتبين في أمره وخبره من غير جهته، فأوجب ذلك سقوط قبوله، فلم يبق إلا العدل فكان هو المأمور بقبول نذارته، قال أبو محمد: وهذا برهان ضروري لا محيد عنه رافع للإشكال والشك جملة [1].

الاعتبار الثالث: باعتبار الصحة والبطلان ينقسم إلى:

١) الاستنباط الصحيح:

صحة الاستنباط متوقفة على أمرين:

الأول: صحة دلالة الآية على هذا المعنى المستنبَط.

الثاني: صحة المعنى المستنبَط في ذاته.

- **المثال على ذلك:**

قوله تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾[البقرة:٢٤]، مع قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾[آل عمران :١٣٣].

استنبط كثير من أئمة السنة من هاتين الآيتين وأمثالها أن النار والجنة موجودتان [2].

وجه الاستنباط:

---

(١)الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ١١١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ((١/ ١٠٨)، مفاتيح الغيب (٤/٩) روح المعاني للألوسي (٢٠٢/١)، تفسير سورة البقرة البقرة لابن عثيمين (٨٥/١).

أن المعدوم لا يقال له أُعِدَّ فهو مُعَدٌّ[1].

تحليل الاستنباط:

وطريق الاستنباط هنا هو الاستدلال بالفعل الماضي فإنه يدل على الوجود، قال ابن عثيمين رحمه الله: ومنها: أن النار موجودة الآن؛ لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾ ؛ ومعلوم أن الفعل هنا فعل ماض؛ والماضي يدل على وجود الشيء [2].

مناقشة صحة المثال: انطبق في المثال الشرطين السابقين:

الأول: أن ارتباطه بالآية صحيح.

الثاني: أن المعنى المستنبط صحيح في ذاته لا يخالف الشريعة بل الأدلة من الكتاب والسنة دالة على صحته، ومنها :

- أنه قد ثبت أن آدم عليه السلام دخلَ الجنة ثم أُخرج منها.
- أن النبي ﷺ رأى الجنة والنار ليلة الإسراء[3].
- أن أرواح الشهداء في حواصل طير في الجنة[4].
- أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وبهذا يكون هذا الاستنباطُ صحيحاً ويحكم بقبوله.

٢) **الاستنباط الباطل**: هو ما لم تتوفر فيه شروط الاستنباط الصحيح.

ويحكم ببطلان الاستنباط إذا لم يصح المعنى المستنبط بأن وجد معارض شرعي راجح، أو كانت

---

(١) الاشارات الإلاهية للطوفي (٢٤٩/١).

(٢) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣٥٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٧/١)، (٣٤٩)، ومسلم (١٨٨/٢)، (١٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧/١٣)، (١٨٨٧).

دلالة الآية عليه غير صحيحة، وفي هذه الحالة لا يلزم من إبطال هذا الاستنباط بطلان المعنى في نفسه بل قد يكون صحيحا لكن بلا ربط بهذه الآية.

- **المثال على ذلك:**

ما ذكره ابن الجوزي والقرطبي عن بعض الصوفية في قوله تعالى:﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)﴾[ص: ٤٢].

قال القرطبيرحمه الله:"استدل بعض جُهال المتزهدة وطُغام الصوفية بقوله تعالى لأيوب: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[ص:٤٢] على جواز الرقص[(١)].

مناقشة صحة المثال:

وإذا نظرنا في الاستنباط نجد أنه استنباط باطل لما يلي:

أولاً: أن المعنى المستنبط مخالف لما به الشرع من تحريم الرقص.

ثانياً: أن هذه الآية لا تدل على ما أرادوا إثباته، ولذلك قال ابن الجوزي: " وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرَّجُل فرحا كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرَّجُل لينبع الماء، قَالَ ابْن عقيل: أين الدلالة فِي مبتلى أُمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأَرْض لينبع الماء إعجازا من الرقص؟ ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكُّم الهوام دلالة عَلَى جواز الرقص فِي الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ دلالة عَلَى ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع"[(٢)].

وسبب هذا الاستنباط الباطل هو الجهل بمعرفة التفسير الصحيح.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/٢٠٥)، ينظر: تلبيس إبليس لابن جوزي (ص ٢٣٠).

(٢) تلبيس إبليس لابن جوزي (ص ٢٣٠)، ينظر: تفسير القرطبي (١٥/٢٠٥)،

الاعتبار الرابع: باعتبار موضوعه ينقسم إلى:

ينقسم الاستنباط من القرآن باعتبار فنها أو موضوعها إلى أقسام عديدة ويمكن إجمالها في خمس موضوعات:

١) الاستنباطات العقدية:

المتأمل للقرآن الكريم يجد أنه كتاب توحيد وعقيدة، فقد تضمنت آياته الكريمة الدعوة إلى توحيد الله، وتوجيه العباد إلى الإخلاص في عبادته، وسنذكر هنا بعض الاستنباطات العقدية التي ذكرها العلماء –رحمهم الله– في كتبهم.

المثال على ذلك:

استنبط الشافعيرحمه الله رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾[المطففين :١٥]، قال: " فلما حجبهم في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا"[(١)].

قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: " لما حجب أعداءَه تجلى لأوليائه حتى رأوه " [(٢)].

وجه الاستنباط:

أنه تعالى خص الكفار بالذكر في ذمهم وعذابهم بحجبهم عنه جل وعلا يوم القيامة، فلولاء أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة، لم يكن في حجبهم فائدة ولا حسنت منزلتهم بحجبهم[(٣)].

ويمكن أن يستدل عليه بوجه آخر وهو: أنه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للشافعي جمع البيهقي (١/٤٠)، جامع البيان (١٢/٤٩٢).

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٣٣).

(٣) ينظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/٥١٢).

للكفار، وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمن، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن.

طريق هذا الاستنباط:

هو الاستدلال بمفهوم المخالفة، فإذا خُصَّ نوع بالذكر بمدح أو ذم أو غيرهما مما لا يصلح لمسكوت عنه – فلذلك الذكر مفهوم[1].

٢) الاستنباطات الإعجازية.

سوف نذكر ما استنبطه العلماء رحمهم الله في باب الإعجاز، والمستخرجات من القرآن تُثبت كونه من عند الله تعالى، وأنه لا يمكن للبشر أن يأتوا به وهذا وجه دلالة هذه الاستنباطات الإعجازية.

وجه الاستنباط فيما يذكر في هذا الجانب: عجز الناس عن الإتيان بمثل هذا المعنى المستَنبَط أو الإخبار به حال كونه خبراً، أو التوصل إليه إن كان علماً من العلوم.

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)﴾[النساء: ٥٦].

استنبط منها بعض العلماء معنى إعجازياً وهو: سبب تبديل الجلود في الآية، فقد أخبر الله جل وعلا أنه يبدلها ليذوقوا العذاب، وفي ذلك إشارة إلى عدم حصول ذلك العذاب عند عدم التبديل، وهذا ما تم إكتشافه حديثاً، فقد قرر العلم الحديث أن الإحساس والشعور بالألم الكلي يكون في الجلد السطحي، فلو احترق لذهب ذلك الإحساس.

وهذا المعنى الدقيق لا يمكن لبشر العلم به والإخبار عنه، فدل على أن هذا القرآن من لدن حكيم

(١) ينظر: منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص ١٧٧-١٧٩).

خبير [1].

٣) الاستنباطات اللغوية:

ليس المقصود أن يستنبط المفسر حكماً لغوياً جديداً من القرآن الكريم، إذ القرآن نزل بلغة العرب، ونزل على أفصح اللغة وأبلغها، ولم يحوِ جميع المفردات.

والمقصود أن يذكر المستنبط دلالة خفية لحكم لغوي مجمع عليه أو مختلف فيه، إما مستدلاً لقول أو مرجحاً له، أو معترضاً على قول.

وطريق الاستنباط في جميع ما سيُذكر من الأمثلة هو: استعمال القرآن، فمتى ما صح الاستعمال في القرآن فهو دليل على صحته لغة، فالقرآن يستدل به في اللغة ولا يستدل عليه.

المثال على ذلك:

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)﴾[الحج :٤]

استنبط منها الشيخ الأمين رحمه الله: أن الهُدى كما أنه يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير . فإنه يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر.

ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى:﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ الآية [القصص: ٤١] لأن الإمام هو من يقتدى به في هديه وإرشاده.

قال الشنقيطي رحمه الله :" وإطلاق الهدى في الضلال كما ذكرنا أسلوب عربي معروف وكلام البلاغيين في مثل ذلك، بأن فيه استعارة عنادية، وتقسيمهم العنادية إلى تهكمية وتمليحية معروف"[2].

---

(١) ينظر: منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص ١٨٣).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي(١٨/٥)، ينظر: منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص ١٨٦-١٨٧).

٤) الاستنباطات الفقهية والأصولية:

نزل القرآن الكريم مشتملاً على آيات تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ يفهمون ما تحمله هذه الآيات من الأحكام الفقهية بمقتضى سليقتهم العربية، وما أشكل عليهم من ذلك رجعوا فيه إلى رسول الله ﷺ.

وكتب أحكام القرآن على الخصوص والتفاسير على العموم يجد فيها القارئ تفنن العلماء في استخراج الأحكام الفقهية، والقواعد الأصولية من نصوص القرآن الكريم، واستنبطوا منها ما يبهر الألباب ويُذعن العقول لمنزل هذا الكتاب.

المثال على الاستنباطات الفقهية:

قوله تعالى:﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾[المائدة: ٥].

استنبط منها: تحريم طعام من عدا أهل الكتاب.

وجه الاستنباط:

أنه تعالى لما أحل لنا طعام الذين أوتوا الكتاب علمنا بمفهوم المخالفة أن طعام غيرهم من الكفار على عكس فيكون محرماً.

تحليل الاستنباط:

وهذا الاستنباط بمفهوم المخالفة. قال ابن كثير رحمه الله: " فدل بمفهومه ـ مفهوم المخالفة – على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل"[(١)].

المثال على الاستنباطات الأصولية:

ما استنبطه الشافعي من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤١)، منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص ١٩١).

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾[النساء: ١١٥].

من حجية الإجماع وتحريم مخالفته[1].

وقد سبق الكلام على هذا المثال.

٥) الاستنباطات التربوية والسلوكية:

القرآن هو كتاب التربية والتوجيه لهذه الأمة، فهو الذي أنشأ خير أمة أخرجت للناس، ومنهج التربية الذي تربى عليه الرسول ﷺ وربى عليه أمته بعد.

ولقد تولى القرآنُ مهمة تربية الأمة الإسلامية، فرباهم أولاً بالعقيدة، من خلال تعريفهم بربهم ليعرفوه فيعبدوه حق عبادته، ورباهم بالترغيب والترهيب، ورباهم بالأحداث كما في غزوة بدر وأحد وحنين وغيرها. فآيات القرآن جاءت للتربية، سواء في العقيدة أو قصص الأنبياء أو التوجيهات الخلقية أو الاجتماعية أو السياسية أو القتالية أو ما يحتويه من الترغيب والترهيب.

المثال على ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التربية بالعقاب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[النور: ٢]، " وبهذا يتبين لك أن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب وهي من رحمة الله بعباده ورأفته بهم الداخلة في قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه وإن كان لا يريد إلا الخير إذ هو في ذلك جاهل أحمق كما يفعله بعض النساء والرجال الجهال بمرضاهم وبمن يربونه من أولادهم وغلمانهم وغيرهم في ترك تأديبهم وعقوبتهم على ما يأتونه من الشر ويتركونه من الخير رأفة

(١) ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١/٣٩-٤٠)، مفاتيح الغيب (١١/٤٣)، البرهان في علوم القرآن (٢/٤).

بهم فيكون ذلك سبب فسادهم وعداوتهم وهلاكهم" [1].

وجه الاستنباط:

لما شرع الله العقاب ونهى عن الرأفة بالمحدود دل ذلك على نوع من أنواع التربية للمجتمع، وهو التربية بالعقاب.

تحليل هذا الاستنباط:

وهذا الاستنباط مأخوذ من تأمل حكم أفعال الله تعالى وشرعه لعباده وتأمل تنوع تلك الأحكام والشرائع[2].

الاعتبار الخامس: باعتبار كلية المعنى المستنبَط، وجزئيته ينقسم إلى:

١) **الاستنباطات الكلية.**

نعني بهذه الاستنباطات ما كان عاما يدخل تحته عدد من المسائل كاستنباط القواعد والأصول العامة، ويدخل في ذلك استنباط عِلل الأحكام التي تدور معها وجوداً وعدماً، فهي كلية باعتبار ما يندرج تحتها من أحكام كثيرة.

المثال على ذلك:

استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١].

دليلاً لقاعدة: (إقرار الإنسان على نفسه مقبول)

وجه الاستنباط:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٢٩٠).

(٢) منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص ٢٠١-٢٠٢).

أنه لو لم يكن حجة لما طلبه تعالى.

تحليل الاستنباط:

وهذا الاستنباط مبني على التأمل في أفعال الله تعالى ومنها أوامره نواهيه ومعرفة حِكَم ذلك. فتأمل ذلك هنا يدل على أنه قبل جل وعلا إقرار الإنسان على نفسه ولم يرده فدل على صحته[1].

٢) **الاستنباطات الجزئية:**

ونعني بالاستنباطات الجزئية: ما كان متعلقاً بحكم خاص.

مثال على ذلك:

قوله تعالى:﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)﴾[الحج:٢٧].

استنبط منها بعض العلماء: أن المشي أفضل في الحج [2].

وجه الاستنباط:

أن الله قدم المشي على الركوب.

تحليل الاستنباط:

هذا الاستنباط مبني على قاعدة التقديم في الذكر هل يقتضي الأفضلية، وليس كل ما قُدم فإن ذلك يكون دليلاً على أفضليته.

وهذا استنباط لحكم جزئي في باب الحج والعمرة [3].

---

(١) ينظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للبورنو (ص ٣٥٤)، منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص ٢٠٩-٢١٠).

(٢) ينظر: التسهيل في علوم التنزيل (٢/ ٤٤٥).

(٣) ينظر: منهج الاستنباط في القرآن الكريم لفهد الوهبي(ص١٣٢) (ص٢١١) .

المطلب الثاني: أسباب الانحراف في الاستنباط من القرآن الكريم:

الانحراف في الاستنباط: هو العدول عن طريقة الصحيح.

ولا شك أن المطلع على ما كتب من قِبَل الفرق في تفسير القرآن، يلاحظ وجود انحراف كبير في استخراج ما خفي من كتاب الله تعالى، حتى أصبح الانحراف شديداً لدى عدد من الفرق المنحرفة التي لا تلتزم بالمنهج الصحيح في استخراج الأحكام والمعاني من كتاب الله تعالى.

كما شارك عدد من المفسرين في تلك الأخطاء نظراً لأسباب متعددة كتعصبٍ عقدي أو مذهبي، أو تقديم للعقل، أو لانحراف سابق في التفسير أو غير ذلك من الأسباب.

إذا عُلم ذلك كان لابد من التعريج على أهم أسباب هذا الانحراف والذي هو عدول عن منهج العلماء الراسخين والمحققين في الاستنباط السديد والصحيح من كتاب الله تعالى:

السبب الأول: الانحراف في التفسير.

ظهر الانحراف في التفسير في بدايات مبكرة في القرون المفضلة، كرؤوس الخوارج والمعتزلة وغيرهم، والانحراف في تفسير كتاب الله مؤثر على الاستنباط، إذ الاستنباط الصحيح مبني على التفسير الصحيح.

المثال على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ [الحجر:٩٩].

أجمع المفسرون على أن اليقين في الآية هو الموت، كما قال تعالى عن أصحاب النار: ﴿...حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) ﴾[المدثر: ٤٧].أي: الموت.

قال ابن القيم رحمه الله: " وهو الموت بإجماع المفسرين كلهم"[1].

([1]) مدارج السالكين (٣/٣١٦).

واستشهد ابن جرير الطبريرحمه الله: لصحة هذا المعنى بقول النبي ﷺ لما توفي عثمان بن مضعون رضي الله عنه: ((أما هو فقد جاءه اليقين، ووالله إني لأرجوا له الخير)) [1][2].

وقد خالف بعضُ الطوائف الضالة وانحرفوا عن التفسير الصحيح فقالوا: اليقين في الآية هو المعرفة، فإذا حصلت سقطت العبادات استنباطاً من دلالة مفهوم الغاية.

وقد استدل ابن كثير بهده الآية بمعناها الصحيح على بطلان هذا المعنى فقال: "ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء، عليهم السلام، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت[3].

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٧/٣)،(١٢٤٣).

([2]) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٥٤/٧).

([3]) تفسير ابن كثير (٥٥٤/٤).

السبب الثاني: الانحراف في العقيدة:

من أوسع مجالات الاختلاف بين أهل القبلة الخلاف العقدي، وهو مظنة للتعصب أكثر من غيره والقرآن الكريم قد فُسِّر من أصحاب مذاهب بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم ويحملوا التأويل على نحلهم.

وتفاقم الأمر من قبل الفلاسفة والقرامطة والرافضة حين فسروا القرآن بأنواع من التفسير لا يقضي منها العالم عجبه.

ولا غرابة أن تجد تفسير كاملاً إنما أُلِّف لنصرة مذهب، وحمل الآيات عليه، بل ولَيِّ أعناقها لتصحيح أصوله وإبطال ما سواه، فتارة يستدلون بآيات لمذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة **يتأولون** ما يُخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه، وهذا ما تجده واضحاً في تفاسير الباطنية والرافضة ونحوهم.

ومن أقربها مثالاً تفسير الزمخشري، وقد كان من أصحاب الفرق المنحرفة يحاولون استنباطاً ما يوافق أصولهم وآرءاهم من كتاب الله تعالى وهو شأن عام في تلك الفرق.

والانحراف العقدي مؤثر بلا شك على الاستنباط ومن أمثلة ذلك:

أنكر المعتزلة ومن وافقهم رؤية الله تعالى في الآخرة، وحرفوا الأدلة في ذلك لموافقة مذهبهم الفاسد، وانحرفوا في استنباط أدلة لهم من القرآن تؤيد مذهبهم، وهذا ما نجده في تفسير الزمخشري حيث تكلف صرف الآيات الدالة على إثبات الرؤية عن وجهها، بل واستدل بآيات استنبط منها نفي الرؤية: ومن ذلك استنباطه من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)﴾[البقرة:٥٥] وقوله :﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾[النساء:١٥٣].

فقرر أنهم سألوا ما لا يجوز، ولذلك سماهم الله ظالمين، وأخذتهم الصاعقة، ولو كان طلبهم جائز لما كان كذلك، كما سأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إحياء الموتى، وعدَّ من استجاز الرؤية على اللَّه أنه جعله من جملة الأجسام أو الأعراض، ثم قال: «فتباً للمشبهة ورميا بالصواعق» [1].

وهكذا نجد أن الانحراف العقدي قد تسبب في الانحراف في الاستنباط من القرآن.

السبب الثالث: اعتقاد المعاني ثم حمل الآيات عليها.

إن الواجب تجاه القرآن الكريم، أن يجعله المسلمُ قائدة ودليله، فما دله عليه وعمل به، وما نهاه عنه انتهى عنه، مقدماً له على رغابته ومعتقداته، وهذا حال أهل العلم الراسخين، والعلماء الربانيين، قال جل وعلا:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ..﴾[الأحزاب:٣٦].

وقد كان منهج السلف رحمهم الله اتباع القرآن بلا معارضة بعقل أو هوى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول: فيجب تقديم العقل. والنقل – يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين – إما أن يفوض وإما أن يؤول. ولا فيهم من يقول: إن له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث "[2].

---

(1) الكشاف للزمخشري (١/٥٨٤-٥٨٥)، منهج التدبر والاستنباط لفهد الوهبي (ص ٤٠٣).

(2) مجموع الفتاوى (١٣/٢٩).

وقال أيضاً: " المقصود أنهم كانوا متفقين على أن القرآن لا يعارضه إلا قرآن لا رأي ومعقول وقياس ولا ذوق ووجد وإلهام ومكاشفة"[1].

ومن أهم أسباب الانحراف في الاستنباط اختلال ذلك المنهج بأن يعتقد المُستنبط معنى من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن الكريم على ذلك المعنى الذي يميل إليه ويعتقده وهي لا تدل عليه فيجعل القرآن تبعاً له.

وسبب ذلك وقع أكثر الخطأ في التفسير والاستنباط، وهو أن قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والسبب في الخطأ في الاستنباط ترجع لصورتين:

الصورة الأولى: أن يكون المعنى الذي يريده المستنبط صوابا، غير أن لفظ القرآن لا يدل عليه.

الصورة الثانية: أن يكون المعنى الذي يريده المستنبط خطأ، وهو مع ذلك يحمل عليه لفظ القرآن.

وهذه الصورة تنطبق على ما ذكره بعض المتصوفه من المعاني الباطلة، كالتفسير المنسوب لابن عربي، كتفاسير أهل البدع والمذاهب الباطلة من الغلاة والمتعصبين[2].

المثال على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩)﴾[النساء: ١٦٨-١٦٩].

استنبط منها بعضهم: أن أهل الكبائر مخلدون في النار.

---

(1) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠).

(2) منهج التدبر والاستنباط لفهد الوهبي (ص ٤٠٩-٤١٠).

ووجه الاستنباط: أن المراد بالظلم في الآية ما ليس بكفر من الكبائر، وعليه فإن الله أثبت أنه لن يغفر لهم مما يدل على خلودهم في النار لعدم المغفرة.

وهذا الاستنباط بلا شك تحريف لمعنى الآية الصحيح ليوافق المعتقد مما يبين تقديم المستنبط لاعتقاده على الاستنباط.

قال الألوسيرحمه الله: " وزعم بعضهم أن المراد من الظلم ما ليس بكفر من سائر أنواع الكبائر، وحمل الآية على معنى أن الذين كان بعضهم كافرين، وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لَمْ يَكُنِ إلخ، ولا يخفى أن ذلك عدول عن الظاهر لم يدع إليه إلا اعتقاد أن العصاة مخلدون في النار تخليد الكفار، والآية تنبو عن هذا المعتقد... وسياق الآية أيضا يأبى ذلك المعنى لكن لم يزل ديدن المعتزلة اتباع الهوى فلا يبالون بأي واد وقعوا[1].

السبب الرابع: الخطأ في فهم معنى باطن القرآن:

بين الله في مواضع عدة من كتابه كون هذا القرآن عربياً فقال :﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ولذا فإن الأصل في فهم كتاب الله تعالى هو اللسان العربي، ولذلك فإن ادعاء معنى لم يصح له وجه في لسان العرب يعد أمراً مردوداً في الاستنباط من كتاب الله تعالى.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: " وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب، ولا خبر لرسول الله ﷺ، ولا إجماع من الأمة. ولا دلالةَ من بعض هذه الوجوه"[2].

([1]) روح المعاني للألوسي (٢٢/٣).

([2]) جامع البيان (١٢/١٠).

وإن من مآخذ أهل البدع في الاستنباط والاستدلال بناء ظواهر النصوص على تأويلات لا تعقل، وقالوا بأن للنصوص بواطن هي المقصودة، وأن الظواهر المفهومة باللغة غير مرادة وقد ولج كثير من الفرق من هذا الباب وفسروا ذلك بتفسيرات منحرفة وباطلة.

وُجُل ما يعتمد عليه أصحاب القول بأن للقرآن ظهراً وبطناً.

وقد اشترط لصحة المعنى الباطن شرطين هما:

- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية.
- أن يكون له شاهداً نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

المثال على ذلك :

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥)﴾[التكوير:١٥]، قال بعض الشيعة: " أقول الخنس بمعنى الاختفاء، وتفسير الآية وارد في النجوم التي يختفي بعضها في وقت اختفائها، وتأويلها وارد في الإمام المهدي عليه السلام لأنه يختفي حيث أمره الله بالاختفاء ويظهر –كالشهاب الثاقب – حيث أمره الله بالظهور [1].

وبهذا المعنى الباطني للآية يقررون ظهور المهدي المنتظر عندهم، وهو استنباط باطل، معتمد على التأويل الباطني للآية.

السبب الخامس: تقديم العقل على النقل.

احترم الإسلام العقل وأبرز مظاهر تكريمه واهتمامه به، في آيات كثيرة من القرآن، ومع هذا التكريم والاهتمام فقد حدد الإسلام للعقل مجالاته التي يخوض فيها كي لا يضل، إذ هو محدود الطاقات والقدرات، فلا يستطيع إدراك كل الحقائق، وإذا ما حاول الخوض في تلك المجالات التبست عليه

([1])ينظر: المهدي في القرآن لصادق الحسيني (ص: ٢٥٣)، منهج التدبر والاستنباط لفهد الوهبي (ص ٤١٩-٤٢٠).

الأمور وتخبط في الظلمات.

وبهذا التزم السلف الصالح رحمهم الله حيث عرفوا حدود العقل ومجالاته ولم يعارضوا به النصوص ولم يظهر معارضة النصوص بالقواعد العقلية إلا في القرن الثاني حين بدأت أصول الجهمية، واشتهر بهذا المنهج المعتزلة، ومن ثم جاء بعدهم بمرتبة أقل الأشاعرة.

وكل من عارض النقل بالعقل فقد ارتكب عظائم منها: رده لنصوص الأنبياء، وإساءة الظن بالوحي، وجعله منافيا للعقل، وجنايته على العقل برده ما يوافق النصوص من المعقول وتكفيرهم أو تبديعهم أو تضليلهم لمن خالفهم.

وأكثر ما يكون الانحراف عند تحكيم العقل في أمرين هما:

١) الدخول في المغيبات التي لا يتوصل إليها إلا بالنقل.

٢) أو باعتقاد صحة ما توصل له العقل من مستنبطات ولو خالفت النصوص.

ومن هنا يقع الانحراف في استنباط دلائل خاطئة من القرآن الكريم، كما يقومون برد نصوص صحيحة وهو انحراف آخر ، ولا يزال هذا المذهب – تقديم العقل – موجودا إلى هذا اليوم، له أنصاره ومؤيدوه، ولذا استمر الانحراف في الاستنباط من النصوص باستمراره، فوجدت نصوص مخالفة للنصوص الصحيحة، وافتقدت هذه الاستنباطات شروطاً من أهم شروط صحة الاستنباط ك:

- عدم المعارض الراجح.
- صحة التفسير.
- صحة الاعتقاد[1].

مثال على ذلك:

([1]) ينظر: منهج التدبر والاستنباط لفهد الوهبي (ص ٤٢١-٢٢٤).

ما سبق من استنباط المعتزلة إنكار الرؤية من القرآن.

قال الشوكانيرحمه الله: " وقد ذهبت المعتزلة ومن تابعهم إلى إنكار الرؤية في الدنيا والآخرة، وذهب من عداهم إلى جوازها في الدنيا والآخرة ووقوعها في الآخرة. وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا: أن العقل قد حكم بها دعوى مبنية على شفا جرف هار، وقواعد لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب[1].

(1) ينظر: منهج التدبر والاستنباط لفهد الوهبي (ص ٤٢١-٢٢٤).

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

١) **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ).

٢) **الأعلام**: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، (ط١٥، دار العلم للملايين ٢٠٠٢م).

٣) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. تحقيق: شعيب الأرناؤوط-عادل مرشد. (ط١ مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ).

٤) **تهذيب اللغة**: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي-بيروت ط الأولى، ٢٠٠١م).

٥) **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (دار صادر-بيروت ط:٣-١٤١٤هـ).

٦) **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي. تحقيق: مجموعة من تحقيق (ط.دار الهداية).

٧) **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق: صفوان عدنان الداودي (ط١، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية-١٤١٢هـ).

٨) **شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري**: لعبد الرحيم لفارس أبو علبة.

٩) **البرهان في علوم القرآن**: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ).

١٠) **أصول في التفسير**: لابن عثيمين

١١) **القاموس المحيط**: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، (ط ٨، بيروت–لبنان ١٤٢٦ هـ–٢٠٠٥م).

١٢) **مجموع الفتاوى**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة النبوية–مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ).

١٣) **التعليق على تفسير الجلالين** :للدكتور عبدالكريم الخضير.

١٤) **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

١٥) **التفسير والمفسرون**: د. محمد السيد حسين الذهبي (مكتبة وهبة، القاهرة).

١٦) **مناهل العرفان في علوم القرآن**: لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ). (ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).

١٧) **سنن أبي داود**: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية، صيدا–بيروت).

١٨) **مقدمة في أصول التفسير**: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م).

١٩) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ).

٢٠) **التفسير النبوي**: للدكتور خالد بن عبد العزيز الباتلي.

٢١) **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ).

٢٢) **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**: للدكتور: مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصِر الطَّيَّار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ.

٢٣) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ).

٢٤) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل**: لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت–دار إحياء التراث العربي).

٢٥) **الجامع الكبير– سنن الترمذي**: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (بيروت–دار الغرب الإسلامي ١٩٩٨م).

٢٦) **السنن الكبرى**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

٢٧) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز(بيروت–دار المعرفة، ١٣٧٩م).

٢٨) **التفسير النبوي**: لسلمان العودة.

٢٩) **الخلاصة في علوم القرآن**: للدكتور فهد الرومي

٣٠) **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (ط٣، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ).

٣١) **تذكرة الحفاظ**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ط١، بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ).

٣٢) **طبقات المفسرين للداوودي:** لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، نشر: دار الكتب العلمية-بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٣٣) **القول المختصر المبين في مناهج المفسرين:** للنجدي.

٣٤) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبي الفلاح. تحقيق: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط (ط١-بيروت-دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ).

٣٥) **مناهج المفسرين:** أ. د علي العبيد.

٣٦) **التفاسير المختصرة اتجاهاتها ومناهجها:** للدكتور محمد بن راشد البركة.

٣٧) **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت:٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٨) **التحرير والتنوير:** لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

٣٩) **تفسير جزء عم:** لـ د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار (ط٨، دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ).

٤٠) **تفسير جزء عم:** لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين. إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، (ط٢، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ).

٤١) **الدر المنثور:** لجلال الدين السيوطي (بيروت-دار الفكر).

٤٢) **إحياء علوم الدين:** لأبي حامد الغزالي الطوسي، (بيروت-دار المعرفة).

٤٣) **أسباب الخطأ في الاستنباط:** لسالم الشهري، رسالة ماجستير. جامعة الملك خالد بالسعودية.

٤٤) **أحكام القرآن للشافعي–جمع البيهقي**: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق (ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي–١٤١٤ هـ).

٤٥) **أحكام القرآن**: لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (ط١–بيروت–دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ).

٤٦) **الموافقات**: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (ط ١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

٤٧) **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(ط٢–القاهرة– دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ).

٤٨) **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**: لمحمد بن علي الشوكاني تحقيق: أحمد عزو عناية (ط١، دار العربي، ١٤١٩هـ).

٤٩) **المحرر الوجيز في تفسير العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

٥٠) **البحر المحيط في التفسير**: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت– دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

٥١) **التسهيل لعلوم التنزيل**: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي. تحقيق: د. عبد الله الخالدي (ط١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

٥٢) **منهج التدبر والاستنباط من القرآن الكريم**، لفهد الوهبي.

٥٣) **فتح القدير**: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، (ط١،– دمشق، بيروت–دار الكلم الطيب ١٤١٤هـ).

٥٤) **مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**: د. خالد بن عبد الكريم اللاحم.

٥٥) **مفاتيح الغيب**: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط٣- بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٥٦) **أفلا يتدبرون القرآن**: لناصر العمر.

٥٧) **مقرر تدبر القرآن**: د. محمد عواجي.

٥٨) **أَخْلاقُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ لِلآجُرِّيِّ**: لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الآجُرِّيِّ الْبَغْدَادِيِّ (ت: ٣٦٠ هـ).تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ: لأبي مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ شِحَاتَه الأَلْفِيُّ السَّكَنْدَرِيُّ، الطَّبْعَةُ ١ ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م.

٥٩) **زاد المسير في علم التفسير**: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط١، بيروت، دار العربي ١٤٢٢هـ).

٦٠) **تأصيل منهجية التدبر**: لفهد الوهبي.

٦١) **مفهوم التدبر تحرير وتأصيل** د خالد السبت.

٦٢) **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**: لمساعد الطيار.

٦٣) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

٦٤) **مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل المستوى المتقدم**، الفريق العلمي بمؤسسة النبأ العظيم.

٦٥) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان. تحقيق: إحسان عباس (بيروت- دار صادر).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمـة	١
هيكل البحث	٢
التمهيد: وفيه تعريفات الكتاب والعلاقة بين الاستنباط والتفسير والتأويل والتدبر، ويشتمل على ثلاثة مطالب:	٦
المطلب الأول: تعريفات العنوان.	٧
المطلب الثاني: العلاقة بين التدبر والاستنباط والتفسير والتأويل.	١٢
المطلب الثالث: الكتب التي ألفت في التدبر والاستنباط.	١٧
الفصل الأول: وفيه منهج التدبر من القرآن الكريم وفيه خمسة مباحث:	١٩
المبحث الأول: مادة التدبر، وأهميته، وأساليبه، وفيه ثلاثة مطالب:	١٩
المطلب الأول: مادة التدبر الواردة في القرآن.	٢٠
المطلب الثاني: أهمية التدبر.	٢٦
المطلب الثالث: أساليب القرآن في الدعوة إلى التدبر.	٣٠
المبحث الثاني: أنواع التدبر، وعلاماته، وأصوله، وفيه ثلاثة مطالب:	٤٠
المطلب الأول: أنواع التدبر.	٤١
المطلب الثاني: علامات التدبر.	٤٤

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المطلب الثالث: أصول تدبر القرآن الكريم.	٤٧
المبحث الثالث: أركان التدبر، وأسبابه، وآدابه، وفيه ثلاثة مطالب:	٥٥
المطلب الأول: أركان تدبر القرآن.	٥٦
المطلب الثاني: أسباب تدبر القرآن الكريم.	٦٣
المطلب الثالث: آداب تعين على تدبر القرآن والتأثر به	٧١
المبحث الرابع: مفاتيح التدبر، وموانعه، وثمراته، وأسباب الفهم وسبل العلاج للتدبر الخاطئ وفيه خمسة مطالب:	٧٣
المطلب الأول: مفاتح تدبر القرآن.	٧٤
المطلب الثاني: موانع التدبر.	٧٧
المطلب الثالث: ثمرات التدبر وآثاره.	٨٥
المطلب الرابع: أسباب الفهم الخاطئ لتدبر القرآن.	٩٢
المطلب الخامس: سبل الوقاية والعلاج للفهم الخاطئ.	٩٤
المبحث الخامس: نموذج تطبيقي في تدبر لسورة الكوثر.	١٣٣
الفصل الثاني: وفيه منهج الاستنباط من القرآن، وفيه أربعة مباحث:	١٠٨
المبحث الأول: نشأة الاستنباط، وأهمية علم الاستنباط، وفيه خمسة مطالب:	١٠٨
المطلب الأول: نشأة الاستنباط..	١٠٩
المطلب الثاني: أهمية علم الاستنباط.	١١٢

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المطلب الثالث: موضوع الاستنباط ومجاله.	١١٤
المطلب الرابع: أصناف المفسرين من جهة التفسير والاستنباط.	١١٥
المطلب الخامس: الاستنباط في كتب التفسير.	١١٧
المبحث الثاني: شروط الاستنباط، وأركانه، وفيه ثلاثة مطالب:	١١٩
المطلب الأول: شروط الاستنباط من القرآن الكريم.	١٢٠
المطلب الثاني: أركان الاستنباط.	١٣٧
المبحث الثالث: أقسام الاستنباط، وأسباب الانحراف فيه، وفيه مطلبان:	١٤٥
المطلب الأول: أقسام الاستنباط.	١٤٦
المطلب الثاني: أسباب الانحراف في الاستنباط من القرآن الكريم.	١٦٨
المبحث الرابع: نماذج للاستنباطات الصحيحة، والخاطئة، وفيه مطلبان:	١٨٢
المطلب الأول: نماذج للاستنباطات الصحيحة.	–
المطلب الثاني: نماذج للاستنباطات الخاطئة	–
الخاتمة: وفيها أهم النتائج.	–
فهرس المصادر والمراجع.	١٨٣
فهرس الموضوعات.	١٨٩

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.